

أخلاق الطبيب

رسالة لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي إلى بعض تلاميذه

تقديم وتحقيق

دكتور عبد اللطيف محمد العبد

الطبعة الأولى

١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م

مكتبة

خازن التراث

٢٢ شارع الجمهورية - القاهرة

اهداءات ٢٠٠٣

أسرة المرحوم الأستاذ/محمد سعيد النسيم بي

الإسكندرية

أخلاق الطبيب

رسالة لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي إلى بعض تلاميذه

تقديم وتحقيق

دكتور عبد اللطيف محمد العبد

الطبعة الأولى

١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م

مكتبة

آزالشراة

٢٢ شارع الجمهورية - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقق

حمداً وشكراً لله سبحانه ، وصلاة وسلاماً على السراج المنير
محمد ، الذي فاز بأكرم وأشرف تزكية من ربه : « وإنك لعلى
خلق عظيم » .

وبعد :

فقد شئت حكمة الله تعالى أن يكون إنشاء الحضارة منوطاً
باجتهاد الإنسان ، يشيدها بفكره ووجدانه ، ويسعد بها في حياته .
ولا يحقق هذا إلا عاقل طلمعة ومفكر حر ؛ فلا تقوم حضارة على
جهل وذلة وخمول .

وإن مؤلف هذه الرسالة من المفكرين الأحرار ، والأعلام
المصلحين ؛ حيث ساهم في نشر الخير ، وشارك في تدعيم النهضة ،
بعقل حر متطور ، وسلوك متزن ، وخلق كريم .
ذلك هو : أبو بكر محمد بن زكرياء الرازي .

وقد ولد بالرى عام ٥٢٥٠ = ٨٦٤ م . ثم توفى ببغداد فى ٥
من شعبان عام ٥٣٣ = ٢٥ اكتوبر ٩٢٥ م ، أى عاش مايقرب
من اثنين وستين عاماً .

وقد نشأ الرازى بالرى ، موطن العلم والأدب والنبوغ ، فنهل
من معين هذه البيئة ، وأعرض عن التجارة والصيرفة والغناء ، معتكفاً
فى محراب العلم ؛ للارتواء من تراث السابقين : عرباً ويوناناً وهنوداً .
واتسم الرجل بالذكاء والفطنة . والهدوء والرزانة ، وتحلى بحب
الرحمة والعدل ، والنصح والعفة ، والإقلال من مما حكا الناس
ومجاذبتهم ، بالإضافة إلى بره بالفقراء والمرضى ، وحسن تعهده
للطلاب .

وكان الزهد طابعاً ملازماً له فى مسكنه ومركبه ومأكله ؛ ولا
عجب أن يموت تاركاً زوجاً صبوراً ، دون درهم أو ولد .

نعم كان فى بلاط الأمراء ، لكنه لم يسمح لنفسه إلا بأن يكون
طبيباً أو ناصحاً لهم . ولو شاء أن يكون قاروفى المال لفعل ؛ فقد
كانت الظروف موافقة له ؛ حيث كان رئيس الأطباء ، وأثيراً لدى
الأمراء ، لكنه كان يدرك بحق ثمرات الزهد والفكر ، وهو لم
يخلد إلا بهما .

صحيح أن الفيلسوف قنوع ، لكنه في البحث عن الحقيقة غير قنوع . وهو في نفس الوقت يدرك أنه إنسان بقدرة محدودة . وهو مع الاعتدال يحاول الكمال .

وقد كان أبو بكر الرازي بعيد النظر ، حيث كتب سيرته بنفسه ؛ خوفاً من تحريفها على يد الخصوم ، وما أكثرهم ! .

وقد صحح في هذه السيرة كل ما حاول الخصوم أن يزيّفوه عليه . وأثبت أنه فيلسوف نظراً وتطبيقاً ، مستدلاً بحسن سيرته ومؤلفاته العديدة التي تهدف إلى إسعاد الإنسان .

وقد مجده هذا المفكر العظيم كل فكري فلسفي حر ، وأشاد بالفلاسفة ودورهم الكبير في المجتمع الإنساني .

وقدم للناس خلاصة أفكار الفلاسفة . وخلاصة أفكاره ، معتزاً بمؤلفاته وعلمه ، حتى صار فيلسوف الوضوح والخير ؛ والعقل والتجربة .

وكان الرازي مؤمناً بالله تعالى ، وبجميع صفات الكمال التي تليق بذاته المقدسة ؛ ومؤمناً كذلك برسول الله وأنبيائه ، وبتعاليم الأديان السماوية ؛ وقد أبغض المذاهب المنحرفة والمتزمتة كالدهرية وغيرهم من أصحاب الجدل .

والرازى - فيلسوفاً - لم يغفل التأكيد على ضرورة الأخلاق ،
فعلينا تشاد الحضارة . تأمل مثلاً الطبيب وقد تجرد من الأخلاق
الكريمة ، إنه يصبح سفاحاً للدماء ، فضاخاً للأعراض .

وكان الرازى فيلسوفاً حقاً ؛ إذ كان يأسى للأدواء الروحية ،
يفشخصها ، ويصف لها الدواء الناجع ، فهو ليس بمعزل عن المجتمع ،
بل يطالب بإصلاحه عن طريق إصلاح الروح . ويقدم من نفسه
قدوة للناس قولاً وعملاً ، منها الناس إلى أن يكونوا أقوياء
الإرادة ضد الملذات التى تفقد سعادتهم ، ويطالبهم بإعمال عقولهم
فى قمع الهوى وتذليل الشهوات .

ولا يكون الفيلسوف عظيماً إلا إذا آمن بالتجربة . ففهم سمو
عن التقليد ، وارتفاع عن ادعاء العصمة والجلود ، وفيها كذلك تفاؤل
وتقدم وابتكار . وهو ما يشكل جزءاً كبيراً من سعادة الإنسان
وحريته . وبهذه الروح كانت فلسفة الرازى ومعرفته .

وكان الرازى يشق طريقه نحو الرقى الفكرى معرضاً عن
الجاهلين ؛ فليس لديه وقت يضيعه فى الجدال والمغالطة مثلهم ، فقد
كانت لديه صنعة أخرى هى الطب ، الذى أعمل فيه عقله تحصيلاً
وتجريباً وتأليفاً ؛ لينخف عن الإنسان آلامه ، فيحقق له جزءاً من
الهناء والسعادة .

ومن المألوف أن يتعلم الإنسان منذ الصغر ؛ وقد يشهد البعيرى
عن القاعدة والمألوف ؛ فقد مال الرازى إلى تعلم الطب على كبره .
وقد تجاوز الثلاثين ؛ دليل ذكائه ووعيه ، فلم تقف السن حاجلاً
بينه وبين المعرفة .

وقد برع في الطب براعة السابقين علماً وعملاً ، وركز على الجانب
الأخلاقي فيه ، فهما عنده لا ينفصلان بحال . ولقب بحق ، أبا
الطب العربى ، ودجالينوس العرب ، حيث عد من الأطباء العلماء
وشهد له بالتفوق على أعلام الطب من أمثال : ابن سينا ، وابن
رشد ؛ وابن ميمون .

هكذا كان الرازى ، وكانت فلسفته إنسانية شاملة .
تلتحم بالواقع ؛ وتبرع عنه وتسمو به .
وقد قدره المنصفون في الشرق والغرب ؛ حيث لمسوا عمق فلسفته
وابتكاره في العلم .

وحسبنا قول ابن النديم عنه إنه : « أوحده دهره » ، وفريد
عصره ، ، وقول ابن خلكان عنه في الفلسفة : « قرأها قراءة رجل
متعقب على مؤلفيها ؛ فبلغ من معرفة غوارها الغاية ؛ واعتقد
الصحيح منها ؛ وعلل السقيم » .

وحسبنا أيضاً شهادة الشهرزورى وهو من ألد خصومه :
« إن الرازى قد بلغ الغاية فى الطب ، ويشهد د . بنيس أن الرازى
أستاذ لمدرسة فى الفلسفة ، كما هو أستاذ لمدرسة فى الطب .

وشهد ستابلتون الإنجليزى بعد دراسته لـ كيمياء الرازى بأنه
بقى بلا ندم حتى يزوغ فجر العلم الحديث بأوروبا . ويقول عنه كوربان :
« إنه طبيب شهير وشخصية إيرانية فذة » .

وقد دعت صحيفة المقتطف إلى تعيين ٣٠ من يناير ١٩٣٠
للاحتفال بالعيد الألفى للرازى فى الهيئات الطبية للأمة العربية .

وعلمت مدرسة الطب بباريس صورة ملونة للرازى إلى جانب
ابن سينا وابن رشد وخصصت جامعة برنستون الأمريكية أعظم
فاحية فى أجل مبانيها لعرض مآثره .

وما أحوجنا إلى أن نكون فى مقدمة الذين عرفوا قدر
الرازى ، وأن نضعه فى منزلته الحقيقية . وقد آن الأوان أن يلتفت
رجال الطب عندنا لمراجعة التراث الطبى لدى الرازى ، عسى أن
يقنعوا منه البشرية فى العصر الحديث ، فهم أقدر الناس على تحقيق
هذا الحلم .

أما الجانب الفلسفي فقد أتيح لي أن أدرسه حسب المادة الموجودة ، وذلك في رسالتى للدكتوراه « فلسفة أبي بكر محمد زكرياء الرازى التى حصلت بها على مرتبة الشرف الأولى عام ١٩٧٥ من قسم الفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم جامعة القاهرة .

وأثناء دراستى للدكتوراه عثرت على أحد المخطوطات للرازى لم يسبق نشره وعنوانه : « رسالة لأبي بكر محمد بن زكرياء الرازى إلى بعض تلامذته » .

وهو مخطوط بدار السكتب المصرية رقم ١١٩ طب تيمور ضمن مجموعة كتبت عام ١١١١ هـ من ص ١٦٦ = ١٨٤ منقول من أصل خط الرازى ، وبقلم معتاد ؛ مسطرته ٢١ تقريباً .

والحق أننى استفدت كثيراً من مادة هذا المخطوط فى توضيح معالم الفلسفة الأخلاقية الطبية لدى الرازى .

وقد اجتهدت فى الحصول على مخطوط آخر فلم أوفق حتى الآن ؛ ولم تدلنى الفهارس على شىء آخر . ولذا آثرت نشر المخطوط من هذه النسخة الوحيدة ؛ حتى لا يتعرض للضياع كما ضاعت معظم كتب الرازى . وفى ذلك خسارة كبيرة للفكر البشرى .

وقد قمت بتعليقات عديدة في الهامش ، وهى تؤكد في مواضع كثيرة من الرسالة أن نسبتها صحيحة للرازى . حيث قارنت كثيراً بين فكر الرسالة وفكر الرازى في كتبه الأخرى التى تيسرت لى مطبوعة ومخطوطة ، وقد وجدت الروح واحدة ، فلا تناقض ولا اضطراب .

وهذه الرسالة مثل كل مؤلفات الرازى ذات أسلوب عذب رصين ، يجمع بين الإيجاز والعمق ، فى دقة وتحليل واستقصاء ، وتنويع بين الخبر والإنشاء .

ولهذا يجب أن نتركها لكل قارى* يتمتع بهذا الأسلوب العلى المتأدب ، ويستنتج منها ما يتفق مع ذوقه وميوله .

ولاشك أن هذه الرسالة المليئة بالنصائح الأخلاقية الطيبة صالحة لكل قارى* : متخصصاً أو غير متخصص ، طبيباً أو مريضاً أو سليماً ، أميراً أو فقيراً .

فهى تضع دستوراً أخلاقياً فى طريقة السلوك بين الطبيب والمريض ، وترسم أهم المبادئ* التى يجب أن يتعامل بها كل منهما مع الآخر ، وهى أيضاً بهذا نموذج أدبى رائع لأحد موضوعات الخير الاسمى .

وبلاحظ أننى أحياناً استبدلت كلمة مكان أخرى فى الأصل ؛
ليستقيم المعنى ، ثم نهت فى الهامش على الأصل ، مع وضعه كما
هو بين علامة تنصيص ؛ لعل أحداً يقترح قراءة أخرى لهذه الكلمات
وهى مسئوليتنا جميعاً . وقد تسقط كلمة من النص فأضع بدلا منها
كلمة حسب السياق مع وضعها بين معقوفين [] وقد تسقط أكثر
من كلمة فأضع ثلاث نقط هكذا ... أما العناوين فهى من وضعى .

وأما التليذ الذى وجه إليه الرازى هذه الرسالة فهو د أبو بكر بن
قارب الرازى ، حين دعاه أحد الأمراء بخراسان ليكون طبيباً خاصاً
له . وفى مطلع الرسالة يتبين بوضوح مدى اعتزاز الأستاذ بتليذه .
وإشارته إياه ، وشفقته عليه من هذا الميدان الذى يحتاج إلى لباقة
خاصة وكياسة وفطنة وحذر .

ولم يصرح الرازى باسم الأمير ، وهذه عادته كثير فى مؤلفاته ؛
كإلا يقع فى الحرج ، أو يوقع الأمير والتليذ فيه .

ونرجو من الله أن يحقق لنا آمالنا تجاه الخير ، فهو سبحانه
وتعالى ولى التوفيق ؟

الدكتور / عبد اللطيف محمد العبد

القاهرة - الزيتون

تحرير فى ١٠/٢٥/١٩٧٥

رسالة لآب بك محمد بن زكريا الرازي الى بعض السادة
منقول من خط اصله الرازي

بسم الله الرحمن الرحيم
ملخص استيعاب البكت وبالنسبة إليك انه روحك لا يترك
الى حضرة واخضعك لخدمته معتد في ذلك عليك
وما يقابلها بسبابة البكت وقد احسن الظن بك
من اخضعك لنفسه واستودعك من جنتك
ايمن روحه فوقك الله لا بد لك اليه من خاتمة واول
حقوقه وحفظ صحته انه يسمع قريب اعلم انه من سمع
شيئا للطبيب فخذته الامراء ومما لجة المخرجين
والنساء فان الطبيب كذا السيرة اذا اشتغل بمسألة
وحفظ الخاضع والعامه فانه يعيش بكر وكون عظيم

امير او اذا توسم بخدمة الملوك ربما صار يخدمهم
 اميرا لاسيما اذا كان الملك عاميا كما اني سمعت
 ان بعضهم اصابت علة فاحره الطبيب الحكيم وهو يابا
 وقال اصنع بالطبيب اذا اذ منعتي المشتهى وانا
 اصطفتك لنفسى لاكل اريد وتدفع بملكى على اكره
 من مضرة . لم يكن يعلم انه من الحال مثل هذا المقال
 وانه ليس قوة صناعة الطبيب وان الاطباء عاداتهم
 عادات الاحرار وامورهم مائة على الاغنياء والفقراء
 ان من عاداتهم ان يامروا وليس من عاداتهم ان
 يذمروا ولا يحب عليك حياة النفس عن الاشتغال
 بالهدوء والطرب والمواظبة على تصحيح الكتب فساء ان
 يبالكت عن شئ بغنة والتخلفه فيعسر عليك الاجابة
 فيفرك وتنت عذبة فان بالاحرار والملوك والروسا
 من يكون عاميا ومن الاكابر من يصادف اميا بحسب عقله
 منهم وكثرة جهلهم ان كل من نسب الى علم فهو خبيث باحسب
 عن كل ما يسأل من ذلك العلم فان عسى بماله فانهم يترددون
 الى الجحيم ان يولدون الله ربما اصاب الاخرف واشد
 امادق وربما اشكل على العالم الخبير المسألة التي يحسبها
 اقل مما تدركه على واحدهم فما لا انه ليس يخطئ اول مرة
 ولم تسعها لكن لعوز الكمال فالانسان وينظنون بقلة معرفتهم
 بل يعتقدون ذلك ان من قراء نوعا من العلم وشرح في فن

والعقل من الرجال النساء، واخفف عن ومينة اشد
 ومصلحة وارا آههم في استخدام من كخدمهم متبصرة فمنهم
 من يريد قول المقام عنده ومنهم من يكره فاذا خفت
 على هؤلاء في اخذ ما كان ذلك عندهم فربما من اخذ ما كان
 امره اذا هو به لسوء واقبل عليه بوجه طلق فربما من
 ان يفتل اسمه عليك او يعيد بوجه عنك واسلم
 انك اذا غلبت هذه الخصال ولازمتها في سائر الامور
 ليست حرياً بان يخضك الملوك والسترة وفضل
 عليك بخاصة والخدمة ولا يخلو في غلال ذلك
 من ذواب وذفر وجوزل مثوبة وحسن ذكر وفيما
 غلبت من هذا الباب بهذا القدر فيه كناية وعنى
 لمن نظره وتدبره بعضي وادرك ما من غلبت له
 وسكت كل طريق الرشاد بمنه وجوده ولا الهيب
 فحمد بالنهاية كما هو الهيب مستحق

رسالة لابي بكر محمد بن زكرياء الرازي
إلى
بعض تلامذته

منقول من أصل خط يد الرازي (١)

(١) في الأصل هكذا: منقول من أصل خط يد الرازي .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

دعاء وثناء :

بلغنى - أمتع الله بك، وبالنعمة فيك - أنه دعاك الأمير فلان إلى حضرته^(١)، واختصك لخدمته^(٢). معتمداً في ذلك عليك. وملقياً بأسبابه إليك. وقد أحسن الظن بك من اختصك لنفسه واعتمد عليك من جعلك أمين روحه^(٣). وفقك الله لما تدبك إليه^(٤): من خدمته،

(١) تطلق الحضرة على كل كبير يحضر عنده الناس (المنتجد - حضر).

(٢) كان الرازى ورفقته يدركون أن التمريض هو الأساس الكبير للشفاء. وما زال الطب الحديث يؤمن بذلك - د. محمد زكى سويدان: التمريض والإسعاف ٣.

(٣) يبدو من هذا مدى اعتزاز الرازى بتلاميذه وثقته فيهم. وكان الأمراء يثقون في تلاميذ الرازى ثقتهم في الرازى نفسه. ولم يكن هذا التلميذ هو الوحيد الذى ألف له الرازى رسالة، بل قد ألف كتابه «الأسرار» لتلميذه محمد بن يونس العالم بالرياضيات والطبيعات، وعن كثرت خدمته لأستاذه، ويقول الرازى في ذلك: «ألفت كتابي هذا، وأنحفته بما لم أتخف به أحداً من الملوك والأمراء». هكذا يعتز بتلميذه - الأسرار ص ١.

(٤) فى الأصل «فوقك الله لا يدبك».

ورعاية^(١) حقوقه ، وحفظ صحته^(٢) ، إنه سميع قريب .

أصعب ألوانه الطب :

اعلم ، أنه من أصعب الأشياء للطبيب : خدمة الأمراء ، ومعالجة
المترفين^(٣) والنساء^(٤) . فإن الطبيب الحر السيرة إذا اشتغل بصناعته ،
وحفظ الخاصة والعامة ، فإنه يعيش بخير ، ويكون^(٥) عليهم // أميراً
ص ١٧

(١) في الأصل : « ودعائه » .

(٢) هذا هو الهدف من علم الطب . وهو يتفق مع تعريف
التهانوي (كشاف اصطلاحات الفنون ١ : ٦١) حيث يقول عن علم
الطبيب : « هو علم يبحث فيه عن بدن الإنسان من جهة ما يمرض ويمرض ؛
للتماس حفظ الصحة وإزالة المرض » .

(٣) معناها « المتعدين » (المنجد - ترف) .

(٤) أجمع الباحثون في كل زمان ومكان على شرف مهنة الطب ؛
لأن موضوعها أبدان البشر التي هي أكرم على الخالق من سائر مائات .
وقد أدرك الرازي هذا كله ، فكتب عن واجبات الأطباء ، مما يحسب
له في باب السبق والابتكار ، د . يوسف حرير : مجلة المقتطف ص ٥١٤
ج ٥ مجلد ٧٥ ديسمبر ١٩٢٩ .

(٥) في الأصل : « وبكونه » .

وإذا توسم^(١) بخدمة الملوك ربما صار بخدمةهم أميراً^(٢) ؛
 لا سيما إذا كان الملك عامياً^(٣) . كما أنى سمعت أن بعضهم أصابته
 علة ؛ فأمره الطبيب بالحمية^(٤) ؛ وهو يأبأها ؛ وقال : ما أصنع
 بالطبيب إذن^(٥) ؟ إذا غنغنى المشتى ؟ وإنما اصطنعتك لنفسى ؛
 لا كل ما أريد ؛ وتدفع بعلمك عني ما أكره من مضرتي . ولم يكن
 يعلم أنه من المحال مثل هذا المقال . وأنه ليس في قوة صناعة^(٦)
 الطبيب ؛ وأن الأطباء عاداتهم عادات الأمراء ، وأمورهم نافذة على

(١) الكلمة تفيد الحسن والوجاهة والشرف ، المنجد - مادة وسم

(٢) هكذا يرفع الرازي من شأن الطب . ويبدو من مؤلفات الرازي

أنه كان يبادل الأمراء الاحترام باعتبارهم أولى الأمر ، ومن كلامه :

« اكمل الله للأمير السعادة ، وأتم عليه النعمة » ، « حضرة الأمير أطال

الله بقاءه » . ومن هنا تدرك مدى تعقل الرازي (الطب الروحاني ١٥) .

(٣) العاجي الذي لا يبصر طريقه .

(٤) حمى المريض أى منعه عما يضره ، الحمية رأس كل دواء ،

(المنجد . حمى)

(٥) في الأصل : « إذا »

(٦) كلمة صناعة هنا كلمة موفقة ، حيث إنها ترد في تعاريف الأطباء

اليوم فهم يعرفون الطب بأنه لغة علاج الجسم والنفس ، واصطلاحاً

يطلق على معرفة أدواء المرضى ومعالجتهم . فهو علم لأنه دراسة أولاً ،

وفن بطريقة ممارسته تبعاً لنماوس الارتقاء ، وهو صناعة لأنه مورد

رزق لمحترفيه . (د . حسنى سبيع : فلسفة الطب ١) .

الآغنياء والفقراء^(١) ؛ لأن من عاداتهم أن يأمروا ، وليس من عاداتهم أن يؤمروا^(٢) .

صيانة الطبيب نفسه :

فأول ما يجب عليك : صيانة النفس^(٣) عن الاشتغال باللهو والطرب ، والمواظبة على تصفح الكتب^(٤) ، فعساه أن يسألك عن

(١) مات الرازي فقيراً - عيون الانباء . ٤٢

(٢) في الأصل : د يؤمر لي .

(٣) قديماً كان الطب والأخلاق من فروع المنهج الفلسفي .

(٤) قد يجد بعض الباحثين الرازي من أجل هذه الفكرة التي توجب الإطلاع على أبحاث الغير ، لاتفاقها مع وسائل التعليم الحديثة .
نقول : المسلمون والعلم الحديث ٦٥

نرى الرازي دائماً يطبق على نفسه كل ما يقوله لغيره ، وهو يقول عن نفسه بالنسبة للإطلاع : « أما يحبني للعلم ، وحرصى عليه ، واجتهادى فيه ، فاعلم عند من صحبتني . وشاهد ذلك مني أني لم أزل منذ حدائتي وإلى وقتي هذا مكباً عليه . حتى إنني متى اتفق لي كتاب لم أقرأه ، أو رجل لم ألقه ، لم ألتفت إلى شغل بيته ، ولو كان في ذلك على عظيم ضرر دون أن آتي على الكتاب وأعرف ما عند الرجل ،
(السيرة الفلسفية ، ٨١) =

شيء بغتة ، ولا تحفظه ، فتعسر^(١) عليك الإجابة . فيضرك ذلك عنده^(٢).

يذكر بعض معارف الرازي أنه لم يكن يفارق المدارج والنسخ فيقول : « ما دخلت عليه قط إلا رأيته ينسخ : إما يسود أو يبيض » (ابن النديم : الفهرست ٤١٦)
وقد وصف الرازي بأنه كان : (فلما ذكياً ، مجتهداً في جلة ، أوقاته بالاجتهاد والتطلع والفكر فيما دونه الأفاضل)
(الشهروري : نزعة الأرواح لوحة ٢١١)
ويرى الرازي أن المعرفة ليست وقفاً على إفسان معين ، إذ كان البحث والنظر والاجتهاد يوجب الزيادة والفضل .
(المناظرات ٣٠١ في رسائل الرازي) (وقارن عيون الأنبياء ٤٢٠)
وقد امتدح بعض الغربيين صفة الاطلاع الدائم لدى الرازي على معارف السابقين

Sarvepalli : History of philosophy Eastern and western
V.11. - P. 135

(١) في الأصل بعثر :
(٢) الحق أنه لا امتياز للإنسان إلا بالثقافة . وكثيراً ما أوصى أبقراط بأن ينمي الطبيب معلوماته بقراءة الكتب وحفظ ما يستطيع منها في حدائمه ، وحتى لا يترك مريضه ويذهب إلى استئتمان كتاب . على المجوس : كامل الصناعة الطبية ١ : ٩

مفاتيح الطيب :

فإن من الأمراء والملوك والرؤساء من يكون عامياً ،
ومن الأكابر من يصادف أمياً^(١) فيحسبون بقلة علمهم ، وكثرة
جهلهم أن كل من نسب إلى علم ، فهو خليق^(٢) بأن يجيب عن كل
ما يسأل من ذلك العلم ، فإن غيبت مسألة^(٣) فإنهم ينسبونه إلى
الجهل^(٤) . وليسوا يدرون أنه ربما أصاب الآخرق^(٥) ، وأشوى^(٦)

(١) (الأي من لا يعرف القراءة ولا الكتابة (المنجد - أم)

(٢) (أي جدير به ، وتفيد معنى التمام والاعتدال .

(المنجد - خلق)

(٣) (في الأصل : دعي ، والمعنى تعثر في مسألة :

(٤) (من رأى أرسطو أنه ليس شرطاً أن يجيب العالم عن كل

سؤال . منطلق أرسطو « نظرية البرهان » تحقيق د: بدوي ٢ : ٣٤٥ ظ

١٩٤٩ ، وقد قال الفقهاء نفس الفكرة ، يحيى بن هبيرة : اختلاف

الأئمة مخطوط بدار الكتب المصرية ورقة ٢٢٢ ب .

(٥) (الآخرق الآخرق الذي لا يحسن عمله (المنجد - خرق ،

(٦) (أشوى السهم : أخطأ الغرض (المنجد - شوى ،

الحاذق^(١) وربما أشكل على العالم النحرير^(٢) المسألة التي يجيب عنها أقل تلامذته علماً ، وأحلمهم^(٣) فهماً ، لا أنه ليس يحفظها ، أو لم يقرأها ، ولم يسمعها^(٤) ، لكن لعوز الكمال^(٥)

(١) من كتب الرازي المفقودة « الطبيب الحاذق ليس هو من قدر على إبراء جميع العلل ، وأن ذلك ليس في الوسع ، وكتاب «العلقة» التي من أجلها صار ينبجج جهال الأطباء والعوام والنساء في المدن في علاج بعض الأمراض أكثر من العلماء ، وعذر الطبيب في ذلك ، « الفهرست ٤٤٢٠ » .

(٢) النحرير : الحاذق الفطن العاقل جمعها نحارين [الماجد:نحر] (٣) الأجل الذي في رجلة استرخاء ، فالكلمة تفيد معنى التخلف « المنجد . حل » .

ونلاحظ ان الرازي ذو ثقافة لغوية ، بمكن ما يقبادر إلى الذهن من أن هذه الكلمات خطأ .

(٤) في الأصل : « تسمعها » .

(٥) يعرف الرازي الفيلسوف أو الحكيم بأنه : « من عرف شروط البرهان وقوانينه ، واستدرك وباع من العلم الرياضي والطبيعي والعلم الإلهي مقدار ما في وسع الإنسان بلوغه ، « السيرة الفلسفية ١٠٨ »

في الإنسان^(١) . ويظنون بقلة معرفتهم^(٢) بل يعتقدون ذلك .
أن من قرأ نوعاً من العلم ، وشرع في فن // من ذلك ، أنه لا يجوز
أن يذهب عليه مثل ما وصفنا من : نسيان شيء ، أو الإغفال عنه
أو الغلط^(٣) فيه . وهذا ما ليس ينكره أحد من تدرب في نوع من

(١) هكذا يراف الرازي بالإيمان ولو كان عالماً ، وهو يطلب من
الطبيب أن يكون عالماً بقدر الإمكان مع الاعتراف بنقصه ، ويقرب
من هذا ما يراه بعض المحدثين من أن الطبيب وحده هو الذي يفرد من
بين العاملين بصفة العالم ، دانا واتشلي : الطبيب معالجاً وعالماً
ص ١٥ - ١٦ . ترجمة زكريا فهمي — دار الفكر العربي .

(٢) يعني الرازي كثيراً على الجهال ويفضل الإعراض عنهم وعدم
إعطائهم شيئاً من مؤلفاته ، فهو يقول مثلاً في نهاية كتابه « الأبرار »
ص ١١٦ :

« هذه أنصى أعمال الحكماء ، فاتق الله وحببه الجهال ومن ليس مناه .
ويقول عن كتابه : « سر الأبرار » ص ١٣١ :

« حرام على من وقع إليه كتابنا هذا ، أن يظهره من ليس مناه ،
أو فاسق ، أو سفيه ، أو عالم العامة على ملغيه .

(٣) من كتبه المفقودة « خطأ غرض الطبيب » (الفهرست ٤١٩)
في الحديث الشريف « رفع عن أمتي الخطأ والنسيان »

العلوم، أى نوع كان منه. فأما الآميون والعاميون فإنهم يتوهمون - بل يعتقدون - أن كل من نسب إلى علم النجوم^(١)، فإنه لا محالة يعلم الغيب، وأن من نسب إلى الطب فإنه يقدر أن يزيل كل مرض^(٢)، ويشفى كل سقم^(٣).

(١) علم النجوم: «علم يتعرف منه الاستدلال بالتشكلات الفلكية على الحوادث السفلية» [التهاونى: كشف اصطلاحات الفنون ١: ٦٢]. ويعتمد التشجيع على النظرية القائلة بتأثير النجوم في شئون الإنسان وهو أساس علم الفلك القديم ونقل عن الرازى أنه يؤمن بتأثير النجوم في عناصر الأرض ورسائل الرازى ١٨٦ - ١٨٧، ولا يستبعد الإمام الغزالي تأثير النجوم أيضاً.

د إحياء علوم الدين ١: ٣٥ ط الحلبي ١٩٣٩،

(٢) للرازى رسالة مفقودة بعنوان: «الطبيب الحاذق ليس هو من قدر على إبراء جميع العلل، وأن ذلك ليس في الوسع» (الفهرست ٤٢٠، فون جرينباوم: حضارة الإسلام ٤٢٤ ترجمة عبد العزيز توفيق - مكتبة مصر ١٩٥٦)

(٣) يفهم من هذا أن الرازى يرى لكل إنسان طبيعة مغايرة للآخر. ويتفق هذا مع ما ذهب إليه علم النفس الحديث، من أن الليل لا يكون كاسلاً أبداً، وأن المعرفة بالحقيقة تكون دائماً جزئية، وعلى من ينتظر التأكد التام أن ينتظر أبد الدهر. جون بولبي: رعاية الطفل

أنواع العلة :

وإنما العلة الواقعة لها ثلاثة شروط : علة واجبة^(١) البرء ، وعلة جائزة^(٢) البرء ، وعلة مستحيلة^(٣) البرء^(٤) .

فأما الواجبة البرء : فكمي يوم في أكثر الأمر ، وصداق حدث من حر شمس^(٥) .

== وتطور الحبص . ٢٠٠ ترجمة د . السيد خيرى ، وزميليه . دار المعارف بمصر ٩٩٠ . وليس من سمات الميأسوف الحق أن يدعى القدرة على حل جميع المشكلات .

(١) في الأصل (واجب) .

(٢) في الأصل « جائز » .

(٣) في الأصل « مستحيل » .

(٤) ذكر الرازى في كتابه والمدخل الصغير ورقة ١٠٧ أ ، أن أصناف الأمراض التي تعترى الجسم أربعة : في الحلقة ، ومقدار الأعضاء ، وعددها ، ووضعها :

(٥) الرازى أول من بحث موضوع الإسعاف الأولى ، ضمن كتابه (من لا يخضره الطبيب) ارجع إليه ط مصر ٥٢-٥٣ وقد استعمل تلشيظ الدبرة الدموية في علاج ضربة الشمس .

(نوفل : المسلون والعالم الحديث ٦٧)

وأما الجائزة البرء فكحصى عقدية^(١) أصابت^(٢) إنسان قوى
البدن خصيه ، ولم تكن من جنس الحميات الخبيثة . فإن مثل هذه
الحصى إذا عولجت كما يجب ، وكيف يجب ، بما يجب ، فانها تزول
سريعا . وإن لم تعالج فكثيراً ما زادت ، وربما وقفت فلم تزد .
وأما المستحيلة^(٣) البرء فمثل : السرطان^(٤) والجذام^(٥) والبرص .

(١) وقد خصص الرازي الجزأين الرابع عشر والخامس عشر من
الحاوي لعلاج الحميات بكافة أنواعها في دقة عجيبة واهتمام كبير
بالإنسان (الحاوي ١٤ : ٢٧ ، ٥٩ على سبيل المثال)
ويحكي الرازي أنه أصيب بالحصى وعالج نفسه (الحاوي ١٤ : ٥٤)
(٢) في الاصل (أصاب)

(٣) لم يعد السرطان والجذام الآن من العلل المستحيلة البرء
لكن الرازي يعتبر المؤسس لنظرية علاج الأمراض المزمنة (الحاوي
٢ : ٢٦) وقد هدم بذلك نظرية علماء الطب الإغريق الذين امتنعوا
عن علاج الزمنى ، وكانت أوروبا تضع هؤلاء في السجون وتقيدهم
وتضربهم حتى الموت .

(٤) السرطان أورام خبيثة بالجسم - د . محمد زكي شافعي : دائرة
معارف الطب ص ١٦٧ .

(٥) الجذام : مرض معد يصيب الجلد فينخشن أو ينعم . وقد

فالطبيب في أكثر الأمر ملوم^(١)، وعلى أى حال . وأما فيما يمكنه
علاجه فلطول وقت المعالجة . وأما فيما لا يمكنه العلاج فلعجزه
عن ذلك .

الرفق ومفظ الدم في الطب :

واعلم يا بنى أنه ينبغي للطبيب أن يكون رفيقاً بالناس^(٢)، حافظاً
لغيرهم ، كتماً لأسرارهم ، لا سيما أسرار مخدومه ، فإنه ربما يكون
بعض الناس من المرضى ما يكتمه من أخص الناس به ، مثل :
أبيه وأمه وولده ، وإنما يكتمونه خواصهم ، ويفشونه^(٣) إلى

يصيب الأعصاب ويسبب شللاً أو عمى ، وعلاجه عسير يحتاج لطول
الزمن . راجع الدائرة السابقة ص ٨٩ .

(١) ذكر هذه الفكرة للرازي صاحب عيون الالباء ٢٠٤

(٢) هذه بعض صفات الفيلسوف الفاضل التي ذكرها الرازي
في كتابه الطب الروحاني ص ٩١ : (إن السيرة التي بها سار وعليها مضى
أفاضل الفلاسفة ، هي بالقول الجميل : معاملة الناس بالعدل ، والأخذ
عليهم من بعد ذلك بالفضل ، واستشعار العفة والرحمة ، والنصح لكل
والاجتهاد في نفع الكل ، إلا أن بدأ منهم بالجور والظلم) .

(٣) في الأصل : (يتشونه) .

الطبيب ضرورة^(١). وإذا عاجل من نسائه أو جواريه أو غلمانها
أحداً فيجب أن يحفظ طرفه^(٢) ؛ ولا يجوز موضع // العلة ،
فقد قال الحكميم جالينوس^(٣) ، في وصيته للمتعلمين .

(١) ما زال هذا معمولا به في مصر ، حيث تنص المادة ٣١٠
عقوبات على أن الطبيب الذي يفشى سر المريض يعاقب بالحبس ستة
أشهر ، وبغرامة لا تزيد عن خمسين جنهما - د يحیی الشریف :
الطب الشرعی ١٣ ، ١٩

(٢) الطرف : العين . أو حرفها (المنجد - طيف)

(٣) جالينوس ١٢ - ٢٠٠ م طبيب وكاتب يوناني . ولد في
برماجون وعمل جراحا لمدرسة المصارعين بها بعد أن أتم دراسته في
بلاد اليونان والامكندرية ثم أقام بروما وذاع صيته ، وينسب إليه
خمسة مائة مؤلف أغلبها في الطب والفلسفة . وقد أضاف إلى المعارف
الطبية اكتشافات وصل إليها بالتجريب ، وأكد أن كل مخلوق له هدف
معين (راجع الموسوعة العربية الميسرة ص ٩٧ هـ ومن الجدير بالذكر
أن الرازي يطلق عليه أنه (جالينوس العرب) حيث تنبذ على مؤلفاته
ولم يكن دى بور على حق في اتهام الرازي بعدم التعمق في فهم مؤلفات
جالينوس ، تاريخ الفلسفة في الإسلام ٩١ ، كان الرازي يفتقد جالينوس
أحيانا لأنه قال بالدمر وادعى في التشريح دعاوى دون برهان (مقالة
فيما بعد الطبيعة ١٢٦) .

ولدمرى لقد صدق^(١) فيما قال :

على الطبيب أن يكون مخلصاً لله^(٢) ، وأن يفض طرفه عن
النسوة ذوات الحسن والجمال ، وأن يتجنب لمس شيء من
أبدانهن^(٣) . وإذا أراد علاجهن أن يقضد الموضع الذى فيه
معنى علاجه ، ويترك إجالته عينيه^(٤) إلى سائر بدنهما^(٥) . قال :

(١) لم يكن الرازى يخفى إعجابه بأسلافه من مفكرى الإغريق
كرواد سابقين ، مهدوا الإنسانية طريق العلم والحضارة - راجع

Sarvepalli History of Philosophy Eastern and western.
V.-11, P. 183.

(٢) فى الأصل والطبيب أن يكون لله .

يوافق الرازى على تعريف القدماء للفلسفة بأنها : التشبه بالله
عز وجل ، بقدر ما فى طاقة الإنسان ، (الطب الروحاني ٧١)
وقد ورد تعريف للتصوف أيضا يشبه هذا وهو أنه التخليق
بأخلاق الله . د . محمد كمال جعفر : التصوف ص ٥

(٣) قد اعتبرت نظرية الرازى فى اللذة والآلام أساساً لمذهبه
فى الأخلاق ، فهو تركّز على قبح الهوى بواسطة العقل .

(٤) فى الأصل : « عينه » .

(٥) هنا نلاحظ مطابقة كلام الرازى لتعاليم الإسلام التى توصى

ورأيت من يتجنب ما ذكرت فكبّر في أعين الناس ، واجتمعت
إليه أقاويل الخاصة والعامة . قال ورأيت من تعاطى النساء فكثرت

== برعاية الجسد مثلاً ترعى برعاية النفس : كما نوصى بغض الأبصار من كل
عن الرجل والمرأة عما حرم الله . (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) .
(نقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن)

وكثيراً ما نهى الرازي وحذر من اتباع الهوى وقد قام كتابه
الطب الروحاني على هذه الفكرة . وهو يعتبر الانتهاء عن الهوى
مبدأً أساسياً لإصلاح الأخلاق ، فيقول : (إن أشرف الأصول
وأجلها وأجودها على بلوغ غرض كتابنا هذا ، قمع الهوى ، ومخالفة
ما تدعو إليه الطباع في أكثر الأحوال ؛ وتمارين النفس على ذلك)
(الطب الروحاني ٢٠) . وهذا شأن الصوفية أيضاً الذين يرون الهوى
كله ضلالة (الرسالة القشيرية ١٢٠) .

ومن دراستنا لمعسفة الرازي ص ٢٩٣ قولنا : (ترك فاسفة
الرازي في توصيته بقمع الهوى ، على تحكيم العقل ، حيث يجده ،
ويعتبره من أعظم نعم الله تعالى التي تستوجب الحمد) وهو يرى
أن اللذات لا توجب فضلاً للإنسان ، ولا ميزة لمن نالها على سواه
« فان كان كذلك فالخير ان والخير أفضل من الناس » .

(الطب الروحاني ٢٥)

قالة^(١) الناس فيه ، فتجنبوه ، ورفضوه ، وحرّم الدخول على الملوك وعلى الخاصة والعامة . فليحذر المتطبّب هذه الأمور كما^(٢) حنرته إياها^(٣) .

وراجب المريصهم نحو الطبيب :

ينبغي لمن يختص المتطبّب لنفسه ، من الملوك والأكابر والسوقة^(٤)،^(٥) ، أن يبالغ في تطيب قلبه بلطيف الكلام ، وأن

(١) القالة : القول الفاشي في الناس خير أكان أو شرّاً [المنجد - قول]

(٢) ليست بالأصل .

(٣) قـ أوصى فيثاغورس - مثل الرازي - بأن يكون الطبيب فاضلاً لا معالجا فقط - الشهرزوري : نزّهة الأرواح - مخطوط لوحة ٥٦ من مبادئ الرازي : دزم الهوى وردعه واجب في كل رأى ، وعند كل عاقل وفي كل دين ، - [الطب الروحاني ٣١]

(٤) من كتبه المفقودة العلة التي يلزم لها بعض الناس وعوامهم الطبيب

وإن كان حاذقاً ، (الفهرست ٤٢٠)

(٥) السوقة : الرعية من الناس للواحد والجمع والمذكر والمؤنث .

(المنجد - سوق)

يرفعه فوق جميع من في مجلسه من خدمه وغيرهم ، فإن هم إلا
خدام جسم ، والمتطبيب خادماً روح^(١) .

وقد كنت^(٢) - ذات يوم - في مجلس بعض الملوك ،
وكان له متطبيب اختصه لنفسه فدخل علينا المتطبيب ،
فغاط له الملك في القول ، وقال : دعاك فلان الحاجب^(٣)
إلى داره فلم تجبه . فقال المتطبيب : أيد الله الملك - الأصحاء
يحضرون إلى الأطباء ، ولا يستحضرونهم ؛ إلا الملك .
فقال الملك : إنما كان لك ذلك قبل أن توسمت بخدمتنا .
فأجاب المتطبيب بجواب أعجب الملك وال حاضرين ، فقال :

(١) في رأى الرازى تختلف طبيعة الروح عن طبيعة الجسم ،
فالجسم متحلل سيال والروح ليست كذلك (الطبيب الروحاني: ٢)
(٢) يلاحظ أن الرازى يطبق النصائح الطبية على نفسه قبل أن يطالب
بها تلميذه . وهى إحدى السمات الأصلية التى يمتاز بها فكر الرازى
وسلوكة - راجع عيون الأبناء ٤١٦ .

(٣) الحاجب تجمع على حجاب وحجبة : البواب ، وبما يخص بيواب
الملك . ومهنته الحجابة ، أى الستر والمنع من الدخول (المنجد - حجب)

أيد الله الملك - ظننت أن خدمته تزيد في الرفعة وعظم القدر ،
لا [في] الضمة وخمول الذكر^(١) . ففهمه الملك ، واعتذر إليه
وأكرمه ، وخلع عليه .

وأشفق من حول الملك به طيبه ، فإن كثيراً من قرابته وخدامه
يسرون // بمرضه وموته ، طامعاً لوراثته ماله أو ملكه ، والطبيب ص ٥٠
جاء مجد ؛ في حفظ صحته ، مسرور بدوام عافيته^(٢) .

ولا شيء أنكر لقلبه من مرض مخدومه - فإنه يريد أن يدفع
عنه علته في أقصر مدة ، وأسرع وقت ، وأهون علاج . وإن لم
يمكنه ذلك ، فإن للعلل درجات أربعاً : ابتداء وتريداً ومنتهى

(١) في الأصل « رفعة وعظم قدر » ، لا ضمة وخمول ذكر .

(٢) يقرب من هذا ما يراه إميل لودفيغ من أن الطبيب هو الذي
يمسك ميزان السعادة بيديه : له . الحياة والحب ص ١٤٦ ترجمة عادل
زحيت - دار المعارف بمصر ١٩٥٠ .

أما برناردشو فيرى عكس رأى الرازي ، حيث ذم الأطباء ومهنة
الطب ؛ ولعلها تجربة شخصية مرت به - له : حيرة الطبيب ١٦-٣١
ترجمة د . عمر مكاوي - دار الفكر العربي ١٩٦٢ .

والمخطوط (١).

وإن المخدم إذا أحسن إلى من يختصه لنفسه من المتطبيين، جد ذلك المتطبب، في حفظ صحته ومداواة علته. وقد صدق - لعمري - الحكيم أبقرط،^(٢) حيث قال: صانع الطبيب

(١) يلاحظ هنا أن الرازي يميل إلى ذكر بعض القوانين الكلية ومن كتب الرازي المفقود، تقسيم الأمراض وأسبابها وعلاجاتها على أشرح،، (الفهرست ٤١٨).

وكتاب، تلخيص كتاب العلل والأمراض، وكتاب، تلخيص كتاب المراضع الآلة، (الفهرست ٤١٩).

وكتاب، العلة اليسيرة بعضها أعسر تعرفا وعلاجا من الغليظة،
وكتاب، العلل القاتلة لعظمها والقاتلة لظهورها بفتة،
وكتاب، العلل المشككة، (الفهرست ٤٢٠)

(٢) أبقرط ٤٦٠ - ٣٧٠ ق. م - طبيب يوناني معروف،
ويطلق عليه أبو الطب. درس بأثينا، واستكمل دراسته خلال أسفاره
فصل الطب عن الخرافات والغميزات، وأقامه على أساس علمي، فكان

قبل أن تحتاج إليه . وء : رب به ل : عمله عمل من طب لمن حب (١) .

ولا شيء أجدى على العليل ، من أن كون الطبيب مائلا إليه بقلبه ، محبا له .

نهي الطبيب عن التكبر :

واعلم يا بني أن من المتطبين من يتكبر على الناس ، لاسيما إذا اختصه ملك أو رئيس . وقد قال الحكميم جالينوس : رأيت من

== له أعمق الأثر في تقدمه ، وكان يهتم بمراقبة أحوال المريض ، ولا سيما أحوال وجهه ، وهو ما يعرف « بالوجه البقراطي » وعرفه العرب باسم بقراط ، ونقلوا بعض كتبه إلى العربية مع شرح وتفسير ، وأشهر هؤلاء : حنين بن إسحق ، وهيسى بن يحيى ، وثابت بن قرة ، وعبد الرحمن ابن على راجع الموسوعة العربية الميسرة ص ٧ .

(١) هذا مثل يجب أن يحفظه كل إنسان ويطبقه في المعاملات الأخرى . وهنا مطابقة في المعنى مع قول الشاعر :

إن المعلم والطبيب كليهما

لا ينصحان إذا هما لم بكرما

المتظلمين من إذا داخل^(١) الملوك ، فبسطوه تكبر على العامة ،
وحرّمهم العلاج^(٢) ، وغلظ لهم القول ، وبسر^(٣) في وجوههم^(٤)
فذلك المحروم المنقوص^(٥) . فدعا الحكيم إلى أصدقاء هذه الخصال

(١) فى الأصل : (دخل) .

(٢) يرى أفلاطون أن الطبيب هو شافى المريض ، لا جامع

المال - جمهورية ٥٦ .

(المنجد - بسر)

(٣) بسر : قطب وجهه

(٤) وحدّثنا عالج بعض أطباء أوروبا قوما من البدائيين فلم يترفوا
لهم بأى فضل ، بل كانوا يودون أخذ أجر من الطبيب ، وكانهم هم
الذين قدموا خدمة له ، ومع هذا يغتر الأطباء بأنهم لم يتخلوا عن
واجبهم . برجسون . منبع الدين والأخلاق (١٤١) ،

(٥) للرازى هنا منهج يتم فى السلوك الخير . وقد وضعه (فى الطب
الروحانى ص ٩٢) بقوله : « إن الإنسان إذا لزم العدل والعفة ،
وأقل من مباحكة الناس وبجاذبتهم سلم منهم على الأمر الأكثر ، وإذا
ضم إلى ذلك الإفضال عليهم ، والنصح والرحمة لهم ؛ أوفى منهم المحبة ،
ونلاحظ أن الرازى هنا يحاول إصلاح أخلاق نفوس الأطباء قبل
أن يبدأ هؤلاء فى إصلاح أجسام المرضى ، وقد اهتم الرازى بهذين
الميدانين فى الطب . (الطب الروحانى ص ١٥)

التي ذكرها ، وحث^(١) عليها .

وجوب علاج الفقراء :

قال : (٢) وينبغي للطبيب أن يعالج الفقراء ، كما يعالج الأغنياء^(٣) وهكذا يجب علينا أن نفتق السنته التي سنها الحكميم .

(١) في الأصل : وخص ، .

(٢) يقصد جالينوس . وكذلك في الفقرة التي بعدها .

(٣) الإنسان هو الإنسان عند الرازي لا فرق بين غنى وفقير في وجوب الرعاية والاحترام . وقد ورد أن للرازي كتاباً مفقوداً في الفقراء والمساكين - ألدرميبي : العلم عند العرب ٥٤٤ .

وقد وصف الرازي نفسه بأنه كان برأ حنوناً ، يهود في خدمة الإنسان وفي تخفيف البؤس عنه - مجلة المباحث - العدد ٨ من السنة الأولى ١٩٠٩ ص ٣٥٧ - ٣٤٩ :

وكانت رغبة الرازي في علاج الفقراء أشد من الأغنياء : ولذا سمى إليه المرضى من كل مكان ، وكان يجرى على الفقراء الجرايات الرواسعة - عيون الأنباء ٤١٦ ، إخبار العلماء ١٧٨ .
وتشهد سيرة الرازي بأنه طبق هذا الكلام عملياً ، يقول عنه ابن النديم في الفهرست ص ٤١٦ إنه كان : دكرماً ، متفضلاً ، باراً بالناس ، حسن الرأفة بالفقراء . .

نهي الطبيب عن المعجب :

قال : ورأيت من المتطبيين من إذا عالج مريضاً شديداً الممرض فبرأ على يديه ، دخله عند ذلك عجب^(١) وكان كلامه كلام الجبارين^(٢) فإذا كان كذلك ، فلا كان ، ولا وفق ، ولا سدد . وإنما نهى الحكيم^(٣) عن هذه الخصال ؛ لكي يتجنب .

توكل الطبيب على الله تعالى :

ويتسلل الطبيب في علاجه على الله تعالى ، ويتوقع البرء منه^(٤) .

(١) نهى الرازي بشدة عن المعجب ؛ لآئنه ضد تقدم المعرفة ، وهو الخلق الكريم ؛ فإن معظم أدواء النفس تابعة من فرط عجة الإنسان لنفسه .
(الطب الروحاني ٥٠)

(٢) الجبار : القاهر ، المتمرد (المنجد - جبر) .

(٣) يريد به جالينوس .

(٤) هذا رد صريح على من يهتمون الرازي بالإلحاد ، فهذه الفسكرة تطابق قول الله تعالى : « وعلى الله فليتوكل المؤمنون » ، وقوله سبحانه : « وإذا مرضت فهو يشفين » .

وترى بعض عبارات لا وكل في مؤلفات أخرى للرازي مثل : « أستمعين =

ولا يحسب قوته وعمله ، ويعتمد في كل أموره عليه . فاذا فعل بهتد
ذلك ونظر إلى نفسه وقوته // في الصناعة وحذقه ، حرمة الله ص
البره (١) .

معرفة الحالة الصحية قبل المرضية :

وينبغي أن تدخل على مخدومك كل يوم ، وتقعد بالقرب (٢)
منه ، وتجس (٣) نبضه (٤) إن أشار بيده إليك ، فإن من لم يجبر

= به (سبحانه) وأترك عليه ، (سر الأسرار ١١٨) ود حسنة
الله ونعم الوكيل ، (بره الساعة ١٣) .

كما أنه يطلب تلميذا آخر له مواصلة طاعة الله تعالى في سر النجاسة
وإظلم على الطاعات . أكمل لك أعمالك ، ويوفقك الله تعالى لما تؤمله
(الأسرار ١١٦) .

(١) البره : الشفاء . (المنجد - برأ) .

(٢) هذا مطابق لما يراه علم النفس اليوم من أن داية الطبيب
بالظروف اليومية للمريض . يمكنه من إسداء النصيحة الناجع له - جوته
بولي : رعاية الطفل ١٩٣ .

(٣) في الأصل : تخمين .

(٤) من كتب الرازي المفقودة كتاب : اختصار كتاب التبيين
الكبير لجالينوس ، (الفهرست لابن النديم ٤١٨) .

بعض نشأ ان في حال صحته ، لم يمكنه أن يحكم عليه وقت علته .

المرى عن كثرة ال-كلام :

وليك وكثرة الكلام في مجلسه في هذا العلم^(١) إلا إذا ابتدأك هو به ، أو بعض ندمائه^(٢) .

غذاء المريض :

ولا تذكر على مائدته^(٣) أن هذا الطعام يضر عضو كذا أو يهيج علة كذا ، وإن كان ردى الخلط جداً ، إلا بمقدار ما لا بد منه ، مثل أن يجتمع على مائدته^(٤) ، السمك والرايب ، أو الجبن والبيض ، أو أشباه هذه ، مما لا يجوز أن يجمع بينهما في وقت

(١) عاب الراوى سقراط ؛ لأنه في أول حياته لم يكن يستعمل للتقية للعوام ولا للسلطان . ثم رجع عن ذلك (السيرة الفلسفية ٩٩)
(٢) التديم : المنادم على الشرب . وتطلق على الرفيق والاصحاب (المنجد - نديم) .

(٣) في الاصل (مايدته) .

(٤) في الاصل (مايدته) .

واحد ألبنة . ويجب أن تعلم^(١) كل يوم كمية طعمه ، وكيفية طبعه ، في قاته وكثرته ، وهشاشته لذلك أو كراسته ، فإن من علم مطعم إنسان ومشربه ، ونومة وسهره ، وفراغه وشغله ، وسائر أحواله من ألباه^(٢) وغير ذلك ، فما أقل ما يقع في علاجه من الخطأ^(٣) .

وينبغي أن تأمر له كل يوم أن يتخذ له من الغذاء ما تعلم أنه يكون مصلحاً لما تناول في أمسه من أغذية ، دافعاً لما ينتظر من مضرته . ومل في ذلك إلى ما يشتهي ميلاناً ما ، فإن الطعام المشتهى أوفق للأصحاء والمرضى مما لا يشتهي ، وإن كلن أردأ ، وقدر شرابه وكيفية وكبته ورتيبه^(٤) .

ولذلك أن تحرم على المالك ، وعلى من ليس من عقلاء الرجال

(١) في الاصل : أن يكون تعلم .

(٢) الباه في رأى الرازى أحد العوارض الرديئة التي يذهب إليها الهوى . وهو لذة جالبة الأستقام المتعددة ؛ ولذا يجب الاعتدال فيه تماماً .

[الحادى ١٠ : ٤٥ ، الحصى فى الكلى والمثانة ٨] .

(٣) الرازى كتاب قيم فى « منافع الاغذية » ط مصر ١٣٠٥ هـ .

(٤) الكلمة غير واضحة تماماً فى الاصل .

ولا على الصبيان^(١) والنساء ، شيئاً يشتهونه بمدة^(٢) ، لكن امنعهم منه يسيراً يسيراً^(٣) ، وحذرهم من الإكثار ، فإن ذلك أحرى ألا يتناولوا منه في السر شيئاً كثيراً ، وتلاحق ضرر ما يحدث

(١) يعتبر الرازي من أوائل المنكرين الذين كتبوا في طب الأطفال كمنع مستقل بذاته . وهو يميز بين علل وعلاج الأطفال والكبار .
د القاضي في الطب ٩٢ : ٩٣ .

Klein ; The Psycho - Analysis of Children. P. 374
London 1954.

(٢) نرى الرازي دائماً الإشفاق على المريض ، ومن ثم يجعله استئنه من القاعدة ، ومن كلامه : « إن استئنه المريض اللبن فأعطه منه مرة ثانية ، (الحادي ٥ : ٨) .

وبالنسبة للناقهين من المرض يقول : « إذا اشتها من الطعام ما يضرهم ، فيجب للطبيب أن يحتال في تدبير ذلك ، وصرفه إلى كيفية موافقة ، ولا يمنعهم ما يشتهون به ، ولعله يبحث عما يلائم طبيعته المريض ليعود إلى حالته الأولى (عيون الأبناء : ٤٢) »

(٣) هنا مبدأ التصريج في العلاج والتربية ، وهو مبدأ هام لدى الرازي تفهيم روحه في كتبه . (الطب الروحاني ٣٢)

منه ، فان دفع مضار الاغذية^(١) جزء عظيم من أجزاء الطب في حفظ الصحة .

(١) للرازي كتاب مطبوع بعنوان : منافع الاغذية ودفع مضارها - مصر ١٣٠٥ هـ . وفي الحديث الشريف حقاً : « المعدة بيت الداء » .

ولم يفك الرازي أن يحذر كثيراً من الإفراط في الطعام والشراب ؛ لأنه يؤدي إلى الهلاك السريع . وقد عقد فصلاً خاصاً لذلك في كتاب الطب الروحاني ؛ وتشيع هذه الفكرة في جميع كتبه (أنظر مثلاً من الحاوي ٦ : ٢٢٦ ، ٢٢٨) :

ومن مبادئه التي يقدمها للطبيب ، مهما قدرت أن تعالج بالأغذية فلا تعالج بالأدوية (منافع الاغذية ٤٤ - ٤٥) .

وقد حشد الرازي في مؤلفاته الحديث عن ألوان الاغذية ما يصلح منها وما لا يصلح ، وله رسالة مفقودة فيما يقدم من الطعام وما يؤخر حيث كان يسير بها مظاهر الآداب الاجتماعية في عصره ولا سيما ما كان متصلاً بالولاية ؛ (منافع الاغذية ٢ : ٥٥ أحمد أمين : ظهور الإسلام . ١ : ١٠٧ ط ٣ - ١٩٦٣) .

استخراص الدواء :

وينبغي لك إذا ناولته شربة // أو دواء^(١)، أن (تصيب^(٢)) منه ص
بمشهده مقداراً ، فان ذلك أبعد من التهمة ، وأقرب إلى الثقة ،
وأخرى^(٣) بأن يعتمد عليك ، وتفوض أموره إليك . وليس ذلك
ما يجب في كل وقت ، بل إذا كنت توليت أمر ذلك الدواء . فأما
إذا تولاه بعض غلمانه ؛ أو صاحب شرابه ، فليس ذلك بواجب
عليك .

وقد كنت ذات يوم في مجلس بعض الأكابر^(٤) ، وأعطاه

(١) الدواء جزء من الطب ولا يجب أن يعطى إلا بإذن الطبيب .
راجع د . محمد زكي شافعي : دائرة معارف الطب والعلاج المنزلي ص
١٣٩ ط ٢ - دار الفكر العربي .

(٢) سقطت من الأصل .

(٣) أولى وأجدر (المنجد - حري) .

(٤) في التاريخ أن الرازي قد عاش في عصر آل سامان (٢٠٤ هـ -
٣٩٥ هـ) الذين كانوا رعاة الحكمة والعلم والفن والأدب ، وكانوا
من أحسن الحكام سيرة ، وازدان بلاطهم بكبار العلماء والأدباء ، من
أمثال : ابن سينا ، والفردوسي ، والرازي الذي اختاره لرئاسة
البيمارستان الحضدي ، دليله الثقة به . (الفهرست ٤١٥ - وفيات
الآلهيان ٤ : ٢٤٥) .

الطبيب شربة ، فبسر وجهه ، فقال بعض ندمائه :

لم لا أصبحت منها ؟ فقال الطبيب : أو كل شربة أو دواء^(١)
يحضر المجلس يجب على أن أصيب منه . إني إذن من عباد الله
المتلفين ! فقال له صاحب المجلس : صدقت ، وأمر بتسليم مفاتيح
بيوت الدواء^(٢) ، وبيوت الشراب إليه .

(١) للرازي اهتمام كبير بمسألة الدواء ، فلا يخلو مؤلف من مؤلفاته
من ذكر دواء الروح أو للجسد ، وهو يفضل الدواء المفرد على المركب .
ولم يصف الرازي دواء إلا بعد إجراء تجارب عليه ليتأكد من مفعوله
بنفسه ، وقد يرجع القدماء في ذكرهم لبعض الأدوية ، وقد خصص
القسم التاسع من الحاوي للأقرباء ، وهي المواد التي تدخل في تركيب
الدواء وقد انتفع به الأوروبيون مدة طويلة : (د . هاشم الورتى ،
ودكتور . معمر خالد : تاريخ الطبي في العراق ٢٦)

(٢) من كتب الرازي المفقودة كتاب « إبدال الأدوية » .
(الفهرست لابن النديم ٤١٨) وكتاب « أثقال الأدوية »
(هدية العارفين ٢ : ٢٧) وكتاب « الأدوية الموجودة بكل مكان »
(السيرة الفلسفية للرازي ١٠٩ ، الفهرست ٤١٨) .

النهى عن ذكر السموم لدى الضمير :

وإياك وذكر شيء من السموم القاتلة^(١) بين يدي الملك ؛ أو
سوقه ، وتقول : إني أعرفها ، أو واقف على شيء منها ، أو على
ضررها ، فهي بمعزل عن صناعة الطب . وليس يحتاج إلى ذكرها
ولا استعمالها . وترك ذكرها أصلح من ذكرها . وإن هو سألَكَ

(١) كان الرازي خبيراً في هذه المركبات ، لأنها تتصل بالكيمياء ،
وقد اعتبر الرازي أبا الطب الكيميائي ، وكان يحذّر أن يكون الفيلسوف
على علم بالكيمياء ، ليستغنى عما في أيدي الناس . وفي عهد الرازي اختلطت
الفلسفة بالصيدلة والكيمياء ، ووجد ما يسمى دوائية كيميائية ،
واستطاع الرازي استحضار المملينات من النبات ، (مسالك الأبصار)
لوحه ٣٠٣ ج ٥ مجلد ٢ مصطفى ليبب : الكيمياء عند العرب ٤٩ .

وقد لاحظنا بعد قراءة لمكتابي الرازي : الأسرار وسر الأسرار
أنهما مؤسسان على فكرة البحث عن العلاج بجميع الأدوية المختلفة في
ذلك العصر ، وذلك بإجراء تجارب كثيرة معقدة ودقيقة . ترى ماذا
كنّا نتوقع لو عاش الرازي عصر الذرة ، وتمكن من استخدام
الأجهزة الحديثة !

عنها فلا تجب عن ذلك ، ولا تشرع في ذكرها ، وألق نفسك
منها جانبا^(١) .

ومحبوب تقريب الطبيب :

ويجب على من استخدم الطبيب أن يقربه من نفسه ، ويكلمه
كما يكلم أخص الناس به ، كيلا يحتاج الطبيب بينه وبين مخدمه
إلى سفير^(٢) ، فإنه ربما يقع بالإسنان من العلل المستحى^(٣) ، منها

(١) حق لبعض خصوم الرازي من أمثال ابن سينا والشهرزوري
أن يشهدوا له بالفوق في الطب - الشهرزوري : نزهة الأرواح لوحة
٢١٠ وحق لمنصفه من أمثال ابن خلكان أن يقول عن الرازي طبيباً :
« كان متقناً لهذه الصناعة ، حاذقاً بها ، عارفاً بأوضاعها وقوانينها ،
تشب إليه الرجال لأخذها عنه » (وفيات ٤ : ٢٤٤) .

ويقول عنه النعمري في مسالك الإبرار لوحة ٣٠١ ج ٥ مجلد ٢ :
« فضله المنوع جم المذاهب . جامع المحاسن الذواهب . وأكثر
النقل يقف عند سلسلته ، وأعرق المشكل به تعرف مسأله » .

(٢) السفير : الرسول المصالح بين القوم (المنجد - سفر) .

(٣) في الأصل : « المستحياة » .

ما يحتاج الطبيب أن يأمر بعلاج في ذكره كراهة، مثل الشهاقات^(١) والحقن :

فإذا لم يكن المتطبيب مقرباً فيمنعه^(٢) الحشمة أو الجبن أن يشير عليه بذلك العلاج فربما أدت // حشمته منه إلى إتلاف نفسه . كما ص ٣
أنى سمعت أن ملكاً أصابته علة القورنج ، فاحتاج الطبيب فيها إلى استعمال الحقنة ، ولم يكن الملك سمع بوصفها ، إذ كان عامياً لم يعاهد العلماء . فأشار الطبيب عليه باستعمالها . فلما وصفها له ظن الملك بقلة عقله وكثرة جهله . أن ذلك باستخفاف من الطبيب ، وتهاون بعلاجه . فغلظ له القول ، وقال : بمن ينبغي أن يفعل ما وصفت ؟ انخافه الطبيب على نفسه فقال : بي . أيد الله الملك ! قل : أو ينفعني ذلك ؟ فقال : المتطبيب قد قيل : إنه ينفع : وترك علاجه ، فتلّف فيه .

وحكى هذا الطبيب أنه لو حقق لفاز ونجا . فلما لم يكن مقرباً من مخدومه . حتى يمكنه أن يأسطه في الكلام ، خافه وترك

(١) الشهاقات : نوع من الادرية .

(٢) فى الاصل : د فيمنعه ،

علاجه ، وكان في ذلك هلاكة^(١) .

نهي الطيب عن السكر :

وإياك ومعاقرة^(٢) الشراب ، إذا كنت معيناً لخدمة الملوك
والأكابر ، فإنه ربما احتاج إليك في وقت فتصادف سكران ،
فتصغر في عينه ، ويقع في علاجك من الخطأ^(٣) ما لم يمكنك تداركه

(١) نلاحظ هنا إيمان الرازي القوى بقيمة الطيب وضرورة
أن يكون في المجتمع أطباء .

وعند التهانوي : كشف ١ : ٧٢ - أن علم الطب في تصحيح
الأبدان من فروض الكفاية . ونقل استحباب بعضهم تعلم كل إنسان
من الطب قدر ما يمتنع به عما يضر بدنه .

(٢) المعاقرة هنا : إدمان الشراب (المتجدد - عفر)

(٣) يحرص الرازي هنا على أن يكون عقل الطيب حاضراً معه ،
لأسيما وقت العلاج . وقد بين قيمة العقل بأنه : « الشيء الذي لولاه
كانت حالتنا حالة البهائم والأطفال والمجانين » - الطب الروحاني ١٨ -
ويقول كذلك : « من لم يكن له عقل ولا فطنة ولا حيلة ، فليس
بحكيم ، وهو عاى » - سر الأسرار ١٢٠ . وقد صرح الرازي أيضا =

إلا إذا أمرت هو به . فأما إذا استعملته بنفسك ، فبمقدار^(١)
ما تحتاج إليه في حفظ صحتك ، أو دفع علة^(٢) (ما) .

بضرر السكر ، لما فيه من ضياع شخصية الإنسان والقيود به عن إدراك
- حل المطالب الدنيوي والديني .

وهو لا يجوز الخمر إلا علاجاً ضرورياً فقط . وفيما عدا هذا فإنه
: يتم السكر والسكر ، لما يجره السكر من ضروب الأسقام والبلايا والمهانة
التي لا يرضاها عاقل يحترم نفسه . يضاف إلى هذا أن الإدمان ضد
التفلسف والسعادة - الطب الروحاني ٦٢ ، ٦٣ ، ٧٢ ، ٧٣ .

ومن كتب الرازي المفقودة : « مقالتان في السكر » و « حنة الطيب
« وكيف ينبغي أن يكون حاله في نفسه وبذنه وشربه » الفهرست
٤١٩ : ٢٤٠ .

(١) في الأصل « فقذار » .

(٢) قد أوصى أبقراط من قبل ألا يكثر الطيب من شرب النبيذ
حتى لا يفسد ذهنه ، خوفاً على مريضه - على المجوسى : كامل الصناعة
الطبية ١ : ٨٠ .

مما نصح الطبيب للمريض بهم الدواء :

وإذا أسقيته المسهل^(١) والمقيء ، فينبغي لك أن تلازمه ، لئلا يخطئ في الطعام والشراب .

قيل : وفيه الذي يجب فيه : فإن من المترفين من تقدم بقلة ضميره وكثرة شرهه ، على أن مرض سنة ، لآفات // ص ١٧٤ كثيرة ، فيصيب من الطعام^(٢) ، وقد بقي في معدته شيء من حنطة^(٣) الدماغ ، أو من رائحته ، فيخلط ذلك بالطعام ، ويعطية طبعه ، فصار الطعام مسهلاً .

وربما دام ذلك أياماً ، وجلب على صاحبه أمراضاً ، وأصابه مغص يقطع في بطنه . ولا يكاد يقبل العلاج إلا بكد شديد ، وبعد

(١) أضاف الرازي إلى الصيدلة استعمال المسهل المحلي والمهاجم :
لمعالجة داء السكتة والرمم — الحاوي ٢ : ٤٨ ، حيدر بامات : بحالي
الإسلام ١٤٦ .

(٢) من كذب الرازي المفقودة «أطعمة المرضى» الفهرست ٤٢٠ .

(٣) في الأصل «حنطة» أما (حنطة) فهي الحرارة الشديدة .

جهد ، وإتاعاب نفوس . وربما دام ذلك الإسهال أياماً وشهور

ضرر كتمان السر عن الطبيب :

ومن أعظم الخطأ ، أنه إذا فعل ذلك ، كتمه الطبيب ، يريد بذلك دفع اللائمة عن نفسه . ومن أخطأ خطأ وكتمه ، فقد جنايةين ، وارتكب خطيئتين^(٣) . والطبيب لا يهتدى لعلاج لم يفش إليه سره .

(١) يرى الرازى أن في الجسم الإنسانى أربع قوى طبيعية: وماسكة وهاضمة ودافعة . وكثيراً ما حذر من إعطاء المريض أو غذاء يسقط قوته ، كيلا تقل مناعته ضد الأمراض - الحاوى ٢١ . وإن أسمى ألوان الطب اليوم هو ما كان للوقاية . وكان لا يهتم بالوقاية اهتماماً فائقاً ، وقد شاع هذا المنهج في معظم كتبه - مثلاً من الحاوى ١ : ٦٩ ، ٨٨ :

(٢) في الأصل « مريد » .

(٣) هذه قاعدة عظيمة ، ينبغي أن يراعها كل عليل ، كيلا الطبيب ، فيتأخر شفاؤه ، أو لا يهتدى الطبيب إلى هذا الشفاء .

فمن أجل هذا ، يجب أن يلازمه الطبيب ، من الوقت الذي
تقبله المسهل ، إلى أن يستفرغ ويفرغ^(١) ، فإن ذلك من أحزم
أمور ، وأؤكد لها في حفظ الصحة ، وبتر^(٢) الأمراض والعلل ، ودفع
الآفة عنه وعن نفسه ، بسبيله^(٣) .

وقد سقيت - في بعض الأوقات - في قريب السن من المترفين
سهل ، فأخطأ في ذلك خطأ كتمنييه ؛ استحياء ، إذ^(٤) كان
اهما^(٥) .

(١) من كتبه المفقودة كتاب « استفراغ المحمومين قبل التعنج » -

بهرست ٤١٩ .

(٢) في الأصل : « دين » .

(٣) كثر ما يحس القارىء ، أن الرازى خبير بطبائع النفوس
لإضافة إلى خبرته في طب الجسد . وقد اعتبرت حياة الرازى نموذجاً
لنماء الأفاضل الموهوبين المتعددي المواهب ، فهو : فيلسوف وطبيب
عالم طبيعي . وبالجملة هو ذو عقلية تركيحية موسوعية . وسوف تنشر
استقنا عن فلمته إن شاء الله تعالى من مكتبة الأنجلو المصرية بعنوان
« أصول الفكر الفلسفي عند أبي بكر الرازى » .

(٤) في الأصل : « إذا » .

(٥) في الأصل : « واهما » .

وكان قد قارب في الليلة التي شرب فيها المسهل ، بعض خط
فأصابه بعقبه ضعف ، ووجع في كلاه . فلما فتشت عن حاله ، أخبر
بعض خدمه بما فعل ، فعالجته ، فبرىء . وقد كنت قدرت ، أنه
لم يكن أخبرني (هؤلاء) ، لطالت به المعالجة والعلة (١) .

فصدر المريض بعد معرفة ماله :

وإذا أردت إخراج الدم له بالفصد (٢) ، فيجب أن تجبر
نفسه // ، وتتفقد بوله ، لاسيما إذا كنت قد اتصلت بخدمته منذ
ريب .

فأما من امتدت به الأيام في الخدمة ، وعرف عادة المخدوم
فإنه قد يمكنه أن يشير عليه بإخراج الدم ، بغير هذين ، من حمى
لون ، أو در (٣) عرق ، أو رعاف (٤) ، أو غير ذلك ، مما يدل على

(١) في الأصل : (لطالت به المعالجة وبه العلة) .

(٢) الفصد : شق عروق المريض .

(٣) في الأصل : « دور »

(٤) الرعاف : نزيف من الأنف بسبب حمى أو لظمة أو غير

ذلك - راجع د . محمد زكي شافعي : دائرة معارف الطب والعلاج

المتنبي ص ١٥٢ ط ٢ - دار الفكر العربي .

غلبة الدم^(١) في كميته ، أو رزاقته في كميته .

واعلم أنه ليس لمن يلازمه الطبيب ، لصحته ، أو يعتاد علاجه
لخدمة أو عادة^(٢) . . . من غير أن يكون غير مشار للطبيب في
وقت صحته ، وأيام سلامته ، في اعتماد غذاء ، أو إخراج دم أو
شرب دواء .

حتى إذا نزلت به علة ، أو أصابته آفة ، فحينئذ يفزع إلى الطبيب
فلم تره^(٣) يمكنه أن يعرف من أحواله في ذلك الوقت ؛ ولو كان

(١) نلاحظ هنا ، أن الراوى يهتم بمشعر الدم في العلاج ، لأنه
يرى الدم أول الطبائع التي ركب منها الجسم ، وتوضيح هذا أنه يرى
الإسان عالما صغيرا ، وقد خلقه الله تعالى وركبه من أربعة طبائع
متضادة في طبيعتها وهي : الدم والبلغم والمرارة الصفراء والمرارة السوداء -
الراوى : المدخل الصغير إلى علم الطب - ورقة ١٠٦ مخطوط .

(٢) في الاصل كلمة غير واضحة ، ورسمها هكذا : دكرادريه

(٣) في الاصل : دلم تراه ،

من أمهر الناس ، وأقدرهم على البحث^(١) ، والقياس^(٢) ، ولا سيما
إذا كان ما أصابه علة حارة ، لا تمهله^(٣) ، أن يستعد لهضاعته ،
ويبحث عن أحواله ، وما جرى عليه من عاداته .

ولذا قال الحكيم أبقرط : « العمر قصير ، والاعناء طويلة ،
والوقت ضيق ، وإنما صار الوقت ضيقاً ؛ لأن الأوقات التي
تستعمل فيها العلاجات الجزئية ، كل يوم^(٤) ؛ لسيلان العنصر
الموضوع للطب ، وهو أبدان الناس^(٥) .

(١) تميزت فلسفة الرازي - مثل الفلسفة الحديثة - بشيئين :
تحرير العقل من الجود والتقليد ، ثم استخدام القياس والتجربة لرقية
للعلم .

(٢) القياس معناه المشابهة . وهو في المنطق : قول مركب من
قضايا إذا سلم بها لزوم عنها لذاتها قول آخر .
(٣) في الأصل : « لا نهمله » .

(٤) في الأصل عبارة مكررة مع الجملة السابقة وهي : « وإنما صار
الوقت ضيقاً » :

(٥) هذه الفكرة موجودة في كتاب الرازي « الطلب الروحاني » ،
حيث يرى أن الجسم من جوهر متحلل سيال ، ولا بقاء لتحلل إلا
بأن يخلف بدلا مما تحلل منه .

وقد صح لي في هذا الباب بالخبرة^(١)، شيء عجيب؛ وذلك
أنه كان لي صديق، كثيراً ما كان يختلف^(٢) إلى ما عندي. وكان
يديره في بعض الأوقات خناق بلغمي^(٣).

فدخل على يوماً، وقد احمر وجهه، وبرزت^(٤) عروقه //، ص ١٧٦
مئلاً يكون عليه أوجه السكارى. فسألته^(٥) عن حاله؛
فقال:

(١) الرازي فيلسوف ذو اتجاه تجريبي دقيق. وإيمانه بالعقل
أكد أهمية التجربة؛ ولا سيما في الطب، الذي هو في تطور مستمر.
ومن رأيه ألا يثن الإنسان في طبيب مهما كان شأنه، إلا أن يبلغ
مرحلة التجريب بنفسه - الحاوي ١٢ : ٨٥، عيون الأنباء ٢١٤.

(٢) في الأصل: «يتقلب».

(٣) هو الربو الشعبي. وجاء في كشف النهائي ٢ : ٢٣٠
«الحناق - بالضم وتخفيف النون - عند الأطباء، وهو ورم في عضلات
الحنجرة والنفث، وهو موضع بين اللهاة وشوارب الحلقوم. وأردؤه
السكبي، وهو الذي يحرج صاحبه دائماً إلى فتح فيه وولع لسانه».

(٤) في الأصل: «ودزت».

(٥) هذا مبدأ هام لدى الرازي، وهو مبدأ المساءلة؛ فإن المريض
كثيراً ما يكون أعلم بالسبب من غيره.

كنت جالساً في دكان عطار ، أحذته ، فشق ناجقة مسك (١) ،
وسحق منه شيئاً صالحاً (٢) على صلايته . فجاء إلى ما عندنا رجل
في عقله بعض الخلل ؛ يشتري منه الطيب .

فلما اشتغل العطار بذلك ، أخذ الرجل المتوف ، (٣) ما على
الصلاية (٤) من المسك ، ولم أكن أحفظ نفسي منه فإذا أنا به ،
وقد نفخه في أنفي بقمه على ما ترى .

ومكث عندي هنيهة ، وقام وخرج ، غفر في الطريق ، وأحذته
العلة التي كانت تعتاده على الأيام . فذهب به إلى داره صديق له ،
ودعا بمطبيب غريب ؛ لم يعرف حاله ؛ فظن ذلك الطبيب أنه خناق
دموى ، ودعيت أنا .

(١) الناجقة : الجلدة التي يجتمع فيها المدك . وهذا المسك طيب
من دم دابة كالظبي يدعى (غزال المسك) والقطعة من المدك
تدعى مسكة .

(٢) في الأصل ، صالحاً ، أما « الصالح » بالجم ، فهو الشديد
الأمس .

(٣) في الأصل ، الماؤف ، . وكلة ، المتوف ، تعني العاهة والفساد .

(٤) في الأصل ، الضلاية ، والعلالية : مدق الطيب

فلما أن دخلت عليه ، فإذا أنا بالمتطبب ، وقد [شمر عن ^(١)] عضديه ، واستعد أن يفصده . القيفالين ^(٢) . فنهيته عن ذلك ، ومنعته من فصده . وعالجته من العلاج بما كنت عرفت ^(٣) ؛ فبرأ . ولو فصده لعمل في إتلاف نفسه ^(٤) .

ورأيت مرة رجلاً أصابته علة ؛ بقاء طيبياً ، فأمر له بدواء يستعمله على مر الأيام ؛ فكان لعلة شافياً . فأصابته هذه العلة بعينها ، رجلاً آخر . فعلمه الرجل الأول ذلك الدواء . وكان الرجل الثاني يعتريه الصرع ^(٥) . فكان كلاهما

(١) ليست بالاصل .

(٢) القيفال : عرق في الوراغ يفصد .

(٣) وقد يوجب الرازي ، الفصد في بعض العلل ؛ ففي الحاوى

٦ : ٢٢ (أنا أمر بالفصد في جميع العلل الامتلائية والصعبة ، وهي كالنقرس والرمد ووجع الكبد) .

(٤) إن النزعة التجريبية لدى الرازي ، تشير إلى تفاؤله . وقد بدأ تفاؤله واضحاً في ميدان الطب . وإن كتابه الحاوى مع ضخامته ليخبر بهذه النزعة ؛ حيث يتجه كله إلى غاية واحدة ، هي الرأفة بالإنسان .

(٥) الصرع : اضطراب عصبي ، يظهر بشكل نوبات فقد وعي ، مع تشنجات .

تناول منه يصرع بعقبه، غير أنه كان ينفع العلة التي أصابته .
 فجأني وشكا إلى فاستوصفته الدواء ، فوصفه لي ، فكان فيه
 ينذر // السكرفس (١) ؛ فالقيته منه . فاستعمله بعد ذلك ؛ فكان ص ٧
 لا يصرع ؛ وينفعه نفعا بينا .

ويحتاج في استعمال صناعة الطب إلى طول الملاحظة (٢) ؛ فإن
 من صاحبه إنسانا سنة ، أعلم لطبيعه من صاحبه شهرا . ويجب (٣) في
 ذلك أن يكون الطبيب قد أحكم الأصول ، وقرأ الفروع (٤) ؛ فإنه
 من غير هذين لا يصح له شيء (٥) ، ولا يهتدى لأمر من الأمور في
 الصناعة ؛ فعليهما فاعتمد .

-
- (١) السكرفس (عشب) له سانية صلبة ، وتؤكل عذوقه ، وتستعمل ثابلا
 - (٢) هذا مبدأ عظيم في الطب . يمكن مازاه اليوم من سرعة
 بعض الأطباء في المكثف على عدد كبير من المرضى .
 - (٢) يفهم من لفظة (يجب) هنا ، إيمان الرازي بالمسؤولية الفردية
 للطبيب . وهو أصل عام من أصول فلسفة - للسيرة الفلاحية ١٠٢ .
 - (٤) ففكرة الرازي هنا تبطل القول بأن العرب أو المسلمين ، لم
 يكونوا يعرفون المنهج العلمي السليم ، منهج القوانين ، كلية وجوئية .
 وقد صرخ الرازي بما في كتابه : منافع الأغذية ٥٥ .
 - (٥) حتى لبعضهم أن يقول : (إن الطب كان متفرقا لجمعه
 الرازي) .

التهنئة عن التجربة في المريف:

ودع مابهيدي^(١) به جهال العامة ، أن فلاناً قد وقعت له التجربة في غير علم يرجع إليه ؛ فإن ذلك لا يكون ، ولو كان من أطول الناس عمراً ، وما نفع له من علاج موافق ، فهو من حسن الاتفاق^(٢) .

فأعلى درجات هؤلاء ، الذين ليسوا يرجعون إلى علم أصوله الصناعة ، أنهم ينظرون في الكتب ، فيستعملون منها العلاجات . وليسوا يعلمون أن الأشياء الموجودة فيها ، ليست هي أشياء تستعمل بأعيانها ، بل هي مقالات جعلت ؛ ليحتذى عليها ، وتعلم الصناعة منها .

ولو لم يكن من أمر التجربة إلا ما قاله الفاضل خالينوس (لكني) : أنا أنهى جميع من استشارني في صناعة الطب ، أن يعالج بالتجربة .

(١) الهذيان : التكلم بغير معقول : لمرض أو غيره .

(٢) كانت محاربة الرازي للدجل في الطب سبباً في تهجين المدارسين

المنصفين له - ألدوميلي : العلم عند العرب ١٧٨ .

وقد^(١) نهى عن ذلك المعلم الحكيم أبقرط ، حين ابتداء
فقال : العمر قصير ، والصناعة طويلة ، والزمان جديد ، والتجربة
خطر^(٢) . فقد صدق لعمرى في قوله ١ . وإني أنهى عن التجربة
في صناعة الطب^(٣) .

ورأيت : رجلا من (المدعين^(٤)) ، يعالج عليلا أصابته
صفراوية ، فسقاه (شيئا^(٥)) يعقل لسانه ، فعوتب في ذلك ، (فذكر
أنه قرأ ذلك في كتاب يعالج هذا المرض)^(٦) .

- (١) في الأصل : « فقد ،
(٢) إن الرازي من أنصار التجربة ، لكنه كان يرفض تجربة
الدواء على الإنسان المريض ؛ فن هنا يرضى بذلك لنفسه !!
(٣) كان الرازي يجرب العقاقير على الحيوان ، قبل إعطائها
للإنسان ، مثلما جرب في قرد بعض مركبات الزئبق ، ومن جهة أخرى
كان يبحث عن علاج الحيوان ، فلم تكن عنده قسوة ما ، انظر له :
الحاوي ١ : ٩٢ ، الخواص - ورقة ١٣١ أ .
(٤) في الأصل كلمة غير واضحة .
(٥) في الأصل عبارة غير مقروءة .
(٦) في الأصل عبارة : « فقال في كتاب له ينفع من لبس الصفرة ،

وآخر يسقى عليه؛ لورم صلب دمرى كافوراً^(١)؛ فأنضر به
إضرار شديداً .

ودخلت^(٢) مرة قرية^(٣) بختاز أبها ، فبقيت هنالك أياماً . فرأيت
شيخاً ، كان بحضرة باب مسجدة بالغداة قوارير الماء . فكان يأمر
بأشياء كما يتفق له ، ويخطر بباله ، ويمجى على لسانه^(٤) .

فسألتهم عن حاله فقالوا : إن له كتباً كثيرة في الطب ، وقد
عرف طباعتنا بالتجربة .

(١) الكافور : زيت طيار ، صلب في درجات الحرارة العادية ،
يحضّر من شجر الكافور بالصين واليابان ، ويستخدم في الطب وغيره .

(٢) ما أشبه الرازى بالجاحظ ، في الأسلوب السلس الرقيق ، وفي
سوق بعض الحكايات التي وقعت له أو أمامه ، أو رواها واحد من
يوثق به ، وذلك برهان على صحة ما يقول ، وكثير منها لا يخلو من
دعابة وطرافة ، لكنها تنسم بالعمق والدقة العلمية — انظر بعض هذه
الحكايات له في : الطب الروحاني ٧٠ ، الخواص - ورقة ٧٠ :

(٣) في الأصل « قرينه » ،

(٤) من كتب الرازى المفقودة كتاب : « الأسباب المميلة لقلوب
الناس عن أفاضل الأطباء إلى أخسائهم » - الفهرست ٤١٧ .

فقتل الشقي بعلاجه المنكر ، من مدة ما كنت هناك عدداً من الناس . فعجبت من غباوتهم وشقاوتهم ، ومن جهالتهم وجراتهم . ولو خليت المرضى والطبيعة^(١) ، ولم تعالج البنية ، خير لهم ، وأعود عليهم ، من [أن] يستشفى بمثل ذلك الطبيب^(٢) .

ولو أن رجلاً استوجب مدة حمرة ، فإنه لا يصح له من التجربة ، أن الإسهال معالج بذلك الرأس بالحرق الحشنة . (نيس تريخ المريض)^(٣) ، وأن السعال ربما يؤدي إلى السل ، إذ لم يلطخ الرأس بدواء الحردل^(٤) ، حتى يذهب وينفتح .

(١) يلاحظ أن فكر الرازي يحمل طابعاً إنسانياً عاماً ، ولعله السر في الاعتماد على كتبه مترجمة أو ظهر مترجمة بأوروبا مدة طويلة .
(٢) هذا مبدأ ارتكاب أخف الضررين . وهو مقبول شرعاً ، ويميل الرازي دائماً إلى الشفقة بالإنسان ، حيث يتأذى من وقوع الألم به ، إلا بقدر الإصلاح والعلاج - الطب الروحاني ٣٢ .

(٣) قد يبدو هذا الكلام غريباً من الرازي ، لكن العلم اليوم يقول بأكثر من هذا فقد نشرت صحيفة الأخبار القاهرية يوم ٨/٨/١٩٧٥ أن أحد الأطباء الإنجليز اكتشف علاج الروماتيزم ، بضرب المريض ما كياس من الرمل بقوة في موطن المرض .

(٤) الخردل : نبات حولي ، نباتات الدنيا القديمة .

التحذير من أوهاء الطب :

واعلم أن اللصوص وقطاع الطريق ، خير من أولئك النفر ،
الذين يدعون الطب ، وليسوا بأطباء ، لأنهم يذهبون بالمال (١) ،
وربما أتوا (٢) على الأنفس ، وهؤلاء كثيراً ما يأتون على
الأنفس النقيصة (٣) . . .

وإن من اضطر إلى ذلك ، الحاجة أو سد مجاعة ، خير ممن هو
مستغن عنه ، يريد بذلك التشديق والسمعة ، كي يقال : إن فلاناً
يرجع إليه في علم الطب (٤) .

وأكثر هؤلاء يرجعون إلى الزهد ، وصيانة النفس // ص ١٧٩

(١) هكذا يكره الرازي أن يكون الطبيب جشعاً مستغلاً ، وقد
حارب هذه الظاهرة أيضاً في كتابه بره الساعية ص ٨ .
(٢) في الأصل : انعوا ،

(٣) يقول الراصفي عن الرازي في مجلة المقتبس من ٦٠٨ ج ١٠
المجلد الثالث نوفمبر ١٩٠٨ :

وكان حليف الجدل لم يأل جهده بدحض خصوم العلم من كل هوال
(٤) في الأصل : إن فلاناً يرجع إلى علم الطب ، .

ولو أمسكوا عنه لكان جزاء لهم ديناً ودنياً، وآخرة وأولى^(١)،
فإن من أصعب الأمور التحكيم على الأرواح بغير معرفة، والامر
يثنى، والنهى عن غيره من غير بصيرة.

وإن الواحد منهم ربما بلغ به الامر من الصيانة، أنه يذبح
نفسه من غير أن يتكلم^(٢) بين اثنين في شيء حقير من حطام الدنيا،
(كيلا يبوء من ذلك يائماً^(٣))، ثم يخطئهم كماً على وجهه
في التحكم على أرواح الناس^(٤)، من غير بحث ولا قياس، ولا أصل

(١) هنا مبدأ عظيم لكل إنسان، وهو أن الإحجام عن الإضرار
بالغير يعتبر عملاً صالحاً، ينال صاحبه الثواب عليه.

(٢) في الأصل : تكلم.

(٣) في الأصل : كيلا تتجعت في ذلك يائماً أو يبوء منه
لوزن.

(٤) تلاحظ هنا أن الراوى يحترم الإيمان تماماً، ويخاف عليه
من الموت قتلاً، وهذا أيضاً لا يتناقض مع ما ذهب إليه من أنه لا يصح
للإنسان الفاضل أن يخاف من الموت ولا سيما : الإنسان الخير الفاضل
للكمال لأداء ما فرضت عليه الشريعة المحقة، لأنها قد وعدته الفوز
والراحة والوصول إلى النعيم الدائم، - الطب الروحاني ٩٦.

يفنى عليه ، ولا فرع يرجع إليه (١).

فبعضهم يفعل منتشياً ، وبعضهم يفعل عتسياً . وقد يصح لمن أحكم الأصول من علم الطب في يوم واحد ، من حال من يريد علاجه ، إذا بحث عن ذلك ، مالا يصح لغيره في سنين كثيرة ، من أصحاب التجارب .

وقد أخبرتك قبل ، أن الحسكاه قد ينزون عن استعمال التجربة في صناعة الطب . وقد أعلنك قصة صاحب الخفاق الباغى ، والمتطبب الأجنبي ؛ لتعلم أن من يعتاد علاج إنسان ، ويعلم عاداته ، أو يلازم أهلاً ، ويعرف سيرته ؛ قد يصح له من أحواله أشباه ما وصفت لك .

ولولا ما كان من أجل ما وصفتنا ؛ ما استخلص الملوك والأمراء لأنفسهم الأطباء ، وآثروهم على جميع خدمهم ، وأشركوهم في

(١) يطالب الراوى دائماً بتطبيق المبادئ الأخلاقية السامية على الطب . ومن هنا اعتبر مثلاً للاتجاه المنهجي المقنن للدراسات الأخلاقية . ويمكن إعتباره مصلاً اجتماعياً ، إلى جانب كونه عالماً وفيلسوفاً ؛

أموالهم ونعمهم^(١) وقد موهم على سائر خواصهم^(٢)؛ لأنه لا شيء
أجل من العافية، ولا الذ من حياة في سلامة.

تواضع الطبيب :

واعلم أن التواضع في هذه الصناعة زينة وجمال ، [دون
ضعة النفس^(٣)] . لكن يتواضع بحسن اللفظ / / ، ص ١٨٠
[وجيد الكلام^(٤)] وليتبه، وترك الفظاظ والغلظة على الناس^(٥) .

(١) يرى الرازي أن البخل صفة ذميمة يدعو إليها الهوى . ولا سيما
بالنسبة للتقار على الكرم . الطب الروحاني ٦٠ .

(٢) بالرغم من هذا لم ينتهر الرازي الفرصة للشراء ؛ لأنه كان
واهدأ . د الميرة الفلسفية ١١٠ . ويرى أنه لا يصح أن يكتسب
الإيمان مالا كثيراً نظير العمل الذي يزيد من طاقته ، ولا يصح
عبداً للعمل ؛ لكن عليه أن يوازن بين دخله ومنصرفه . د الطب
الروحاني ٨٢ — ٨٤ .

(٣) في الأصل : د لكن لاضمه النفس ولا قلقتها .

(٤) في الأصل : د وحسن إليه والرغبة في الجنس وحفظ الكلام .

(٥) وفي القرآن الكريم خطاب للرسول عليه السلام : د ولو كنت
فظاً غليظ القلب لا نفضوا من خورك .

فتى كان كذلك ، فهو المسدد الموفق . وكذلك أمرنا بهذه
الحضال المحموده ، التي أثمرت بها عليك ، الفاضل جالينوس .
وقد كنت يوماً فى مجلس بعض الملوك ، وكان له متطيب
اختصه لنفسه ، وقدمه على سائر من يحضرته فأمرته له بدواء ،
وكان يحتاج إليه فى ذلك الوقت : وكان فى المجلس رجل من أقرباء
الملك ، له مكانة وميزة عنده .

فقال له المتطيب : اثنى بحقة كذا ؛ فقام من مجلسه كارهاً ،
وهو يقول فى نفسه : أرى كل نذل (١) يحكم على ، حكمه على هيئته ،
فسمعه الملك ؛ فقال :

إن من جورته له أن يحكم على نفسى وروحى ؛ لست أنهى (٢)
أن يحكم على غيرى ، ولو كان أقرب الناس إلى ، وأكرمهم
على ، فاستبشر بذلك الرجل ، وطابت نفسه بقول الملك .
وعالجت فى بعض الأوقات ملكاً ، وكان لى عنده مكانة وميزة ؛
إذ (٣) كان الرجل بنفسه فاضلاً . فأصابه ورم حار ؛ فقصده

(١) النذل : الخسيس المحتقر ؛ لمرقوطه فى دين أو حسب .

(٢) فى الأصل : 'دأبها أى ، .

(٣) فى الأصل : 'د إذا ، .

واستكثرت من إخراج الدم ؛ إذ^(١) كان يجب إخراجها إلى حالة
المها^(٢) ، فأصابته عشية صعبة ، فهولته جداً .

يفعل من حوله من خواصه وخدمه ليكونه . وأهابهم ذلك ،
وأنا أعالج العشاء بما يجب ، لا أكثرت بقوة وهوله .

فلما أفاق رأى بعض خدمه يبكي ، وبعضهم يشد النظر إلى ،

فقال لي : إنه لم يكن لي برء العشاء ، وما دام معنى شيء من عقلي يهتم ،

ولا فسر إلا الإشفاق عليك من أن ينالك // بعض خدمي ص ١٨١

بجهاته بكلمة باردة . وقد وثقت منك أنك لو لم تعلم أنني محتاج
أن أصير من إخراج الدم إلى العشاء ، لم يخرج ذاك . ولست
أكلفك بفصدي^(٣) بعد اليوم بحضرتهم ، بل في الخلوة .

وتخلص بذلك الفصد من علل كثيرة ، قد أشرف عليها ،

وحفظت صحته بإذن الله تعالى ، مدة مقامى معه ، من أوجاع

شتى كانت تصيبة على الأيام ، لأنه لم يكن يأكل ويشرب^(٤) ،

ولا ينام ولا يسهر ، ولا يتقاضى^(٥) ، ولا يستحم ، إلا

(١) : : إذا . .

(٢) في الأصل : العشي ، والعشاء : سوء البصر بالليل والنهار ، أو بالليل فقط .

(٣) في الأصل : : قمهدي .

(٤) من كتب الرازي المفقودة : ترتيب أكل الفواكه ،

(٥) في الأصل : لا بد قاضي .

بمشورتى وإذنى ، وبمراى فتى .

وكان فى أثناء ذلك مطيعاً^(١) لى بحياً إلى العلاج ، فى جميع ما أشرت به من ذلك عليه . وكذا يجب أن يكون الرئيس إذا أراد الانتفاع بعلم الطب^(٢) .

وإن الطبيب بمثل هذا يسعد ، وهو [يسعد] باستخدامه إياه . ولو لم يكن لصناعة الطب وللأطباء ، من الفضل ، إلا ما أنا ذاكره ، لكأن فيه كفاية .

فضل الأطباء :

فإنه قد اجتمع لهم^(٣) خمس خصائل لم تجتمع لغيرهم :

- الأولى : اتفاق أهل المثل والأديان على تفضيل صناعتهم ؛
- والثانية : اعتراف الملوك . والسوقة بشدة الحاجة إليهم ؛
- إذ هم المقرع والغياث ، حين لا ينفع عدة ولا عشيرة .

-
- (١) طاعة المريض للطبيب عنصر هام لتحقيق الشفاء سريعاً ؛
 - لأسيا إذا أضيف إليها علم متين للطبيب - وفيات ٤ : ٢٤٥ .
 - (٢) يستحسنه الراوى أن يازم المريض طبيباً واحداً ؛ لأن لكل طبيب خطأ - عيون الأنباء ١٢١ : ١٤٢
 - (٣) فى الأصل : ٢ له ،

والثالثة : مجاهدة [ما غاب ^(١) عن] أبصارهم ^(٢) .

والرابعة : اهتمامهم الدائم بإدخال السرور . الراحة على غيرهم ^(٣) .

والخامسة : الاسم المشتق من أسماء الله تعالى .

ولو لم يكن من فضل الطبيب ، إلا أن الإنسان ربما يتشوق إليه ، حين يسأم أكرم الناس عليه ، فأخصهم لديه // : فإنه ^(٤) ص ٢ في الحال الصعبة ربما كره الإنسان لقاء أدله وولده ، ويشتاق إلى الطبيب ، ويتروح برويته ، وتطيب نفسه بحضوره ومشاهدته - لكان فيه مندوحة عن غيره .

وحكى لى غير واحد من المرضى : أنه يجد في نفسه راحة عند دخول الطبيب عليه ، وكونه عنده ، ما لا يجد في غيره من الأوقات ،

(١) في الأصل : (مجاهدة من أجاب عايته من أبصارهم) .

(٢) يوجب الرازى على كل طبيب أن ينقسه على العلة معها خفيت -

تلخاوى ١ : ١٢٨ .

(٣) أوجب الرازى على الطبيب أن يورم مريضه بالهجة وإن لم يكن واقفا منها - هيون الأنبا ٢٠ : ٤٢٠ :

(٤) في الأصل : (ظن) .

مذكراته في الطب :

وإياك أن يغاطك الممخرقون^(١) الممهرون على الناس ، بحضرة
مخدومك ، فيكلفونك استخراج أشياء ليست من صناعة الطب ،
بما يعتادها الكهنة^(٢) : أنه قد يمكن المشاهد أن يعرف جميع ما بالعالم
من أمره ، إذا نظر إلى ما به ، أو جس نبضه ، لا بل يعرف ما أكل
من قبل ذلك ، وراود من سائر أموره ، والفرق بين الأبوله ، وهذا
من أحظم الكذب والباطل على صناعة الطب .

ولو لولاء الممخرقين - أخوانهم الله تعالى - في ترويج حيلهم
عند العامة ، أنواع من الخيل ، وزرق^(٣) لطيف جدا . وقد شرحنا
هذه الأمور في مقالتنا^(٤) التي ألفناها في هذا المعنى .

(١) الحق أن كتابات الرازي قد عبرت عن أصالة فكرية حرة ،
بمخروجهما على الشائع والمألوف :

(٢) في الأصل : (الكدنة) .

(٣) أي حيلة وخفة .

(٤) يتميز الرازي كفيلاسوف بكثرة تأليفه في موضوعات متنوعة .

فربما أمر الممخرق، رافقه^(١) أن يجعل بدل البول في القارورة^(٢) ماء التين ، أو ماء نقع المشمش ، فيرده^(٣) إليه بحضرة من الناس فيغضب لذلك الممخرق ، ويتناوله ويشربه .

وربما يدفع إليه ماء...^(٤) في قارورته بول الشاة بمرأى من العوام ؛ فيقول يحتاج إلى زيادة...^(٥) ؛ فيصدق^(٦) ذلك كثير من أهل العقل والتمييز ؛ فضلا عن سواهم .

وإنما صرت بحيث لا يخفى على شيء من هذه الأمور ؛ لأنني كنت // في حداتي أتعاجل العزائم والمخاريق ، فصار ص ١٨٣ لا يخفى على أشر^(٧) وجوهها .

وقد رأيت من هؤلاء أشياء^(٨) ذكرت بعضها في تلك المقالة ، التي بينت فيها طرفا من حيلهم .

(١) في الأصل (مراطنه) .

(٢) وعاء يجمع فيه الشراب أو الرطب أو التمر .

(٣) في الأصل : (فيرضه) .

(٤) في الأصل : (تيموسة) .

(٥) : (حشيش) .

[٦] : (فعر) .

(٧) في الأصل : (أهر) ؟

(٨) : الأشياء .

أما أنا فقد دفعت إلى هذا النوع غير مرّة ، من أقوالم نظرت فيه
 بولهم^(١) ، أو جسست نبجهم^(٢) . فلما رأوني ألح عليهم في
 المسألة عما فعل (المريض) وأكل وأصابه في علته ، (وغير^(٣))
 ذلك من الأعراض والدلائل والعلامات ، من النوم والسهر ،
 وكيفية الوجد ، رأيتم قد تبين في وجوههم ضد ما كانت صورتي^(٤)
 عندهم ، بأن لان قولهم لي ، وأعرضوا عني .

ومنهم من أظهر ذلك لي ، غير مستبح^(٥) منى بل مصرحاً بالقول :
 من أنك كنت عندنا بخلاف مانجدهك ؛ إذ كان في نفوسنا أنك
 إذا نظرت إلى ما بنا ، وجسست نبجنا ، أمكنك أن نخبرنا بجمع
 ما فعلنا في أيام علقتنا ، وما يجد من الآلام على كنهها .

(١) في الاصل ددليايهم ، ؛

(٢) كان من عادة الأطباء في عصر الرازي تشخيص المرض
 بالفحص عن بول المريض ، دون أن يروه أحياناً . وقد لغت الرازي
 الانظار إلى وجوب فحص المريض نفسه بالإضافة إلى ذلك - ديورانت :
 قصة الحضارة ص ١٩٢ ج ٢ مجلد ٤ .

(٣) ليست بالاصل .

(٤) في الاصل د صررتي ،

(٥) ، ، مستبحي ،

ولم ينجح^(١) كلامي فيهم . إن من وصفهم غير مدرك لهذه^(٢) الصناعة ، لما قد تمكن^(٣) في نفوسهم من مخاريق^(٤) الهرايين وحيل الممخرقين^(٥) .

وإن كان قد يمكن الماهر ، أن يعتبر عن بعض ما بالليل ، فإنه لا يمكنه الإخبار عما فعله البارحة ، وعما أكله على كنهه . فإن كانت صداقة الطب ، ماهي محصورة في كتب الحكماء من اليونانيين والهند أيضاً ، فليس ولا في واحد من هذه الكتب ، ما ادعوه من مثل هذه الأشياء^(٦) ، أنهم يلزemon الزوايا ؛

(١) أى لم ينفذ .

(٢) في الأصل : بهذه . .

(٣) في الأصل (يمكن) .

(٤) في الأصل (مخاريق) . ومن الطريف أن ينسب إلى الرازي كتاب يدعى : (مخاريق الانبياء) مع أنه يرى من ذلك .

(٥) في الأصل (الممان) . .

(٦) هنا تبدو ثقافة الرازي ، ويتضح مدى اطلاعه على معارف السابقين .

ويروجون صناعتهم وحيلهم ، على أهل ضعف // العقل (١) ص ١٨٤
من الرجال والنساء... (٢) وآراؤهم ، في استخدام من يخدمهم
متضاربة (٣) .

فمنهم من يريد طول المقام عنده ، ومنهم من يكرهه (٤) . فإذا
خففت على هؤلاء في الخدمة ، كان ذلك عندهم ضرباً من الخدمة .
فإن أمرك إزاهم بالتنبؤ (٥) ، وأقبل عليك بوجهه طلق ،
خير من أن يثقل رأسه عليك ، أو يصد بوجهه عنك .

(١) الرازي ذو فراسة قوية في فهم نفسية الأشخاص . . . هو يعرف
جيداً كيف يعامل كل إنسان على حدة . وله رسالة في الفراسة ، لا تختار
مبادئها مع مبادئ العلم الحديث ، في هذا النوع من المعرفة - له : جل
أحكام الفراسة - ط - ج ١٩٢٩ .
(٢) في الأصل جملة رسمها هكذا : وأحفظ عن وصيته أشدد
ومختلفة .

(٣) في الأصل : (منضمة) .
(٤) د (يكرمه) .
(٥) د فاني أمرك أراهم بالسوء . وعلى أي حال
فاللغني متمتر .

واعلم أنك إذا تملك هذه الخصال ، ولازمتها في سائر الأحوال ، كنت حرياً بأن يخلصك الملوك والسوقة ، ويقبل عليك الخاصة والعامة . ولا تخلو في خلال ذلك من ثواب وذخر ، وجزيل منوية ، وحسن ذكر^(١) .

وفيما أعلمتك من هذا الباب ، بهذا القدر^(٢) (ما) فيه كفاية^(٣) ، وغنى لمن نظر فيه ، وتدبره بعقله^(٤) .

(١) من أصول فلسفة الرازي أن الله تعالى هو : (المالك لنا ، الذي منه نرجو الثواب ، ونخاف العقاب . ناظر لنا ، رحيم بنا لا يريد إيلا منا ، ويكره لنا الجور والجهل ، ويحب منا العلم والعدل) (السيرة الفلسفية ١٠١) .

(٢) يلاحظ هنا أن مؤلف الرازي هذا من الرسائل القصيرة . وهو يميل دائماً إلى الإيجاز ؛ لما فيه من بلاغة وتوفير جهد .

(٣) هذه الرسائل القصيرة التي ألفها الرازي ، كان يعتبرها بمثابة دستور في الطب . وقد صرح بهذا في حديثه عن كتابه (بره الساحة ص ٤) .

(٤) في الأصل (بعقلي)

والله تعالى يوفقك^(١) للسداد ، فتسلك كل طرق^(٢) الرشاد ، بمنه
وجوده ولو اديب العقل الحمد بلا نهاية ، كما هو أهله ومستحقه^(٣).

(١) في الاصل (موفقك) .

(٢) (طريق) .

(٣) (أهلي ومستحق) .

قائمة المراجع

أولا - مصادر من تأليف أبي بكر محمد بن زكرياء الرازي :

١ - الأسرار - ليران ١٣٤٣ هـ

٢ - بره الساعة - القاهرة ١٩٣٦ .

٣ - جمل أحكام الفراسة - حلب ط ١ - ١٩٢٩ :

٤ - الحاوي - الهند - ط ١ - ١٩٥٥ .

٥ - الخصى في السكلى والمثانة - نشر / كورنيج - ١٨٩٦ ليد .

٦ - رسائل فلسفية - تحقيق ب كراوس مصر ١٩٣٩ وتشمّل
على الوسائل الآتية :

١ - أمارات الإقبال والدولة .

ب - الديرة الفلسفية .

ج - الطب الروحاني .

د - مقالة فيما بعد الطبيعة .

هـ - المناظرات .

٧ - سر الأسرار . ليران ١٣٤٣ هـ .

- ٨ - الفاخر في الطب ، نشر كوفينج ، ١٨٩٦ ليد .
- ٩ - المدخل للصغير إلى علم الطب ، مخطوط دار الكتب المصرية ضمن مجموعة رقم ٤٣٨ ، ل .
- ١٠ - منافع الاغذية ودفع مضارها ، مصر ١٣٠٥ هـ .

ثانياً : مراجع

- ١ - د . أحمد أمين : ظهر الإسلام : ط ٣ ، ١٩٦٣ مصر .
- ٢ - أرسطو : المنطق (نظرية البرهان) تحقيق د . بدوي . مطبعة دار الكتب المصرية ط ١٩٤٩ .
- ٣ - الدومبيلي : العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي . ترجمة د . عبد الحليم النجار ، د . محمد يوسف موسى . دار القلم بمصر ، ط ١ ، ١٩٦٢ .
- ٤ - إميل لودفيج : الحياة والحب ، ترجمة عادل زعيتير ، دار المعارف بمصر ١٩٥٠ .
- ٥ - برجسون : منبعا الاخلاق والدين . ترجمة د . سامي الدروبي ، عبد الله عبد الدائم ، مكتبة نهضة مصر ، ط ١ ، ١٩٤٥ .
- ٦ - برناردشو : حيرة الطبيب ، ترجمة د . عمر مكاوي . دار الفكر العربي ، ١٩٦٢ .

- ٧ - بولي (جون) : رعاية الطفل وتطور الحب
ترجمة د. السيد خيرى ، وزميلييه . دار المعارف بمصر ١٩٥٩ .
- ٨ - جرينبام : حضارة الإسلام - ترجمة عبد العزيز توفيق .
مكتبة مصر ١٩٥٦ .
- ٩ - د : حسن سبيح : فلسفة الطب . دمشق - ط ٢ - ١٩٤٥
- ١٠ - حيدر بامات : محالى الإسلام . ترجمة عادل زعير - الحلبي
بمصر ١٩٥٦ .
- ١١ - دى بور : تاريخ الفلسفة فى الإسلام - ترجمة د محمد أبوريدة
مصر ١٩٣٨ .
- ١٢ - ديورانت : قصة الحضارة ترجمة محمد بدراى . ط مصر :
- ١٣ - الشهرزورى : نزهة الأرواح . مخطوط دار الكتب
المصرية رقم ١٢٠٥٠ : ح .
- ١٤ - عبد الرازق نوفل : المسلمون والعلم الحديث مكتبة
طلابع بمصر ط ٢ .
- ١٥ - د عبد اللطيف محمد العبد : فلسفة أبى بكر محمد بن زكرياه
الرازى (رسالة دكتوراه بمدرسة الشرف الأولى - ١٩٧٥ كلية دارالعلوم
تحت الطبع) .

١٦ - علي بن العباسي المجوس : كامل الصناعة الطبية ، المطبعة
الكبرى بمصر ١٢٩٤ هـ .

١٧ - مسالك الابصار مخطوط دار الكتب المصرية رقم
٥٥٩ معارف عامة ،

١٨ - الفزالي : احياء علوم الدين الحلبي بمصر ١٩٣٩ ،

١٩ - القشيري : الرسالة القشيرية صبيح بمصر ١٩٦٦ ،

٢٠ - القفطي : اخبار العلماء بأخبار الحكماء ، الخاتمي بمصر ط ١

١٣٢٦ هـ ،

٢١ - محمد زكي سويدان : الترييض والإسعاف بمصر ط ١٩٥٧ . ٢

٢٢ - د محمد كمال جعفر : التصوف طريقا وتجربة ومذهبا .

دار الكتب الجامعية بالإسكندرية ١٩٧٠

٢٣ - مصطفى لييب : الكيمياء عند العرب دار الكاتب العربي

بمصر ١٩٦٧

٢٤ - د هاشم الوترى ، ود . معمر خاله : تاريخ الطب في الوراق

بغداد ١٩٣٩ ،

٢٥ - واتشلي (دانا) : الطبيب معالجاً وعالمًا ، ترجمة :

زكريا فهمي : دار الفكر العربي بمصر ،

٢٦ - يحيى الشريف (وزميله) الطب الشرعي ، مكتبة القاهرة

الحديثة ط ١ ١٩٥٨ ،

٢٧ - يحيى بن هبيرة اختلاف الأئمة ، مخطوط دار الكتب المصرية

٢٣٣١٩ ب ،

ثالثاً : موسوعات

١ - ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء تحقيق د. تراز رضا: بيروت
دار مكتبة الحياة ١٩٦٥

٢ - ابن خلكان : وفيات الأعيان . تحقيق محمد عيسى الدين :
المنهضة المصرية ١٩٤٩

٣ - ابن النديم : الفهرست المكتبة التجارية الكبرى بمصر ١٣٤٨ هـ ،

٤ - البغدادى (إسماعيل) : هدية العارفين . استانبول ١٩٥٥ ،

٥ - التهانوى : كشف اصطلاحات الفنون تحقيق د. لطفي عبد البديع
المنهضة المصرية ١٩٦٣ ،

٦ - الألب لويس معارف اليسوعى : المتجدد في اللغة والأدب والعلوم
بيروت : ط ١٩٢٧ ،

٧ - د محمد زكي شافعى : دائرة معارف الطب والعلاج المنزلى

ط ٢ دار الفكر العربى بمصر :

٨ - محمد شفيق غربال (بإشرافه) : الموسوعة العربية الميسرة دار

القلم بمصر .

رابعاً : ذوريات

١ - مجلة/المباحث : العدد ٨ السنة الأولى ١٩٠٩ .

٢ - مجلة/المقتبس : ج ١٠ المجلد الثالث : نوفمبر ١٩٠٨ ،

٣ - مجلة / المقتطف : ج ٥ مجلد ٧٥ ديسمبر ١٩٢٩ ،

خامساً - مراجع إنجليزية

1 - Melanie Klein : The Psycho-Analysis of children.
London, 1954.

2 - Sarvepalli ; History of philosophy Eastern and
Western V 11 London, 1953.

فهرس

الصفحة	الموضوع
٣	مقدمة المحقق
١٦	١ - دعاء وثناء
١٧	٢ - أصعب ألوان الطب
١٩	٣ - ميانة الطيب نفسه
٢١	٤ - ثقة الطبيب
٢٥	٥ - أنواع العليل
٢٧	٦ - الرفق وحفظ السر في الطب
٣١	٧ - واجب المريض نحو الطبيب
٣٥	٨ - نهى الطبيب عن الكبر
٣٧	٩ - وجوب علاج الفقراء
٣٨	١٠ - نهى الطبيب عن العجب
٣٨	١١ - توكل الطبيب على الله تعالى
٣٩	١٢ - معرفة الحالة السرية قبل المرضية

الصفحة	الموضوع
٤٠	١٣ - النهى عن كثرة الكلام
٤٠	١٤ - غذاء المريض
٤٤	١٥ - استخدام الدواء
٤٦	١٦ - النهى عن ذكر السموم لدى الأمير
٤٧	١٧ - وجوب تقريب الطبيب
٦٥	١٨ - نهى الطبيب عن السكر
٦٧	١٩ - ملازمة الطبيب للمريض بعد الدواء
٦٨	٢٠ - ضرر كتمان السر
٧٠	٢١ - فساد المريض بعد معرفة حاله
٧٧	٢٢ - النهى عن التجربة في المريض
٨١	٢٣ التحذير من أدياء الطب
٨٤	٢٤ - تواضع الطبيب
٨٧	٢٥ - فضل الأطباء
٨٩	٢٦ - لا كهانة في الطب
٩٦	٢٧ - قائمة المراجع

رقم الإيداع لسنة ١٩٧٧
مطبعة دار البيان

2

Bibliotheca Alexandrina



0395418